

معركة الأبطال

www.mlazna.com

^ RAYAHEEN ^

تأليف
ميشال زيشاكو



رشتہ بہ رشتہ اپنے
میں سے، کیا

www.mlazna.com-RAYAHEEN

معركة جديدة

ذهب بارداليان الكبير الى فندق دفينير ، ليدفع لصاحبه ما عليه من الديون ، فاستقبله الرجل وزوجته استقبالا حارا .
وقد طلب بارداليان من (لا ندري) ، صاحب الفندق ان يقدم له حسابه ، فأسرع هذا الى مكتبه فرحا ، ليأتي بورقة الحساب .
وعندئذ التفت بارداليان الى زوجة لا ندري .
وقال لها :

— علي ان اشكرك باسم ابني الذي اخبرني انه مدين لك بالكثير من العطف والرعاية .

فقال وقد احمر وجهها :

— انه ليس مدينا لي بشيء .

— بل لقد قال لي انه لن ينساك في حياته ، وكلفني ان اقبلك بالنيابة

عنه .

فاضطربت ، وزاد احمرار وجهها .

وقالت :

— اهو قال لك ذلك ؟

— نعم .

— اذا فاحصل اليه رسالتي .. وقل له انها تحبه .

فذهل بارداليان وسألها :

— من هذه التي تحبه ؟

— لوزيا .. التي يحبها .

فجن بارداليان من الفرح .. وهجم على المرأة يقبلها ، وهو يقول :

— لقد فرجت همي قبل تفريج همه .

وكان ان اقبل في هذه اللحظة ثلاثة رجال الى الفندق ، وساح احدهم

بقول لما شاهده :

— لقد فتحنا به اخيرا .

وهجموا على بارداليان ، فرفس هذا الطاولة بقدمه ، وجرده حياها ،

وجعل يتلقى هجمات الثلاثة هادئا جامدا ، كأنه الصخر .

وكان هؤلاء الثلاثة ، كاليبس وموتغرون ومورفر .

ولم يكن بارداليان بعد الجراح التي اصيب بها في المدة الاخيرة قويا

نشيطا كمادته .

ولهذا وقف من الثلاثة موقف الدفاع ، حتى اذا وصل الى باب القاعة،

رفس طاولة امامه واسرع اليها ، واقفل الباب خلفه .. وكان قد اصيب

بثلاثة جراح بسيطة .

وفي هذه اللحظة غادرت صاحبة الفندق الصالة هاربة ، وكان للقاعة

التي دخل اليها بارداليان بابان ، واحد يشرف على المطبخ ، والآخر على

الطريق .

فلما احتوته القاعة ، وضع خلف الباب بعض الحواجز ، ثم اسرع الى

الباب المؤدي للطريق ، فاراد فتحه ، فوجده مقفلا ، فأسقط في يده ،

وادرك ان خصومه سوف يتسكنون منه آخر الامر .
ثم حدثت المعجزة ، ففتح الباب المقفل ، وظهرت صاحبة الفندق على
عنته ، وهي تقول :

— اسرع بالفرار .

فلما مضى في سبيله بعد ان شكرها ، اقفلت الباب ، وعادت الى
الصالة حيث كان الثلاثة قد تمكنوا من كسر الباب الخارجي ، واسرعوا
الى الباب الداخلي الذي هرب منه بارداليان ، يريدون تحطيمه ايضا ،
ولكن زوجة صاحب الفندق قالت لهم :

— لا حاجة الى كسره ساتيكم بفتاحه .

ولما جاءتهم بعد قليل بالفتاح ، ووجدوا ان الباب يظل علي الطريق ،
ادركوا ان بارداليان قد تسكن من النجاة .

وكان صاحبنا في هذه الاثناء ، قد اسرع الى حانة (كاتي) ، صاحبة
الخسارة الجديدة ، حيث اجتمع الى بعض رجال السيف من اصدقائه ،
واتفق معهم على مغادرة باريس الليلة .

وكانت لوزيلا قد سمعت بعض حديث بارداليان الكبير مع ابنه ،
وفطنت الى انقطاع امل الشاب ، فذهبت اليه بعد ان اصبح وحده .
وقالت :

— لقد سمعت انك تريد السفر الى مكان بعيد بعد ان تطنن الي
سلامتنا ، فما الذي يدعوك الى ذلك ؟ هل مللت عشرتنا ، وضقت ذرعا
بالاقامة معنا ؟

فانفض بارداليان عينيه وقال :

— كيف امل البقاء في الجنة ؟

— اذا لماذا تريد السفر ؟ والواقع انك لا تريد السفر ، وانما تريد

ان تموت .

— هذه هي الحقيقة ..

— ولماذا تريد الموت ؟

فقال :

— لاني احبك .

فقلت :

— اذن تريد ان اموت انا ايضا ؟

وعندئذ ركب بارداليان امام قدميها وقد اسكره ، وهو يقول :

— لوزا .. لقد اعادت اليّ الحياة ، ولن افكر بالموت بعد اليوم .

وانحس الكلام في لسانه ، وغض بصره ، فهربت لوزا من الترفة .

فلما عاد بارداليان الى نفسه ، وقف كالمجانين ، وجرّد حسابه ، ودنا

من النافذة المشرفة على اللوفر .

ومضى يقول :

— يا ملك فرنسا ، وهنري دي موتسوراني ، وبأدوق دانجو ..

لقد اصبحت اعظم منكم ، وما عليكم الا ان تقفوا في وجهي لتروا ما يكون

مصيركم .

« لوزا .. لقد ملكت قلبي .. فاصبحت عبدا لك ، ولكني سيد

الملك » .

واقبل ابوه بعد قليل ليخبره انه اتفق مع عشرين فارسا على حماية

المركبة ، فوجده متمالكا لاعصابه ، هادئا ثابت الجنان ، وفي الموعد المعين ،

ركبت لوزا وامها المركبة التي توجهت نحو باب سانت انطوان ، وقد

سار المارشال امام المركبة وبارداليان الاكبر والاصغر حولها ، واتني عشر

فارسا من حرس المارشال خلفها .

فلما وصلوا الى الباب ، تقدم احد الضباط واخبرهم ان الخروج من

باريس ممنوع .. وقد رفعنا الجسر منذ ساعة .

وعجب المارشال لاقفال الباب في هذه الساعة المبكرة ، لانها كانت الساعة ، وحسب ان الابواب الاخرى لا تزال مفتوحة ولكنه علم من الضباط انها قد اقلت جميعها ، وان الخروج من باريس ممنوع .. الا بأمر الملك .

وعندئذ تقرر ان يعود الجميع الى القصر .
وفيا كان بارداليان الكبير يراقب الضباط والحراس ، شاهد جنديا يغادر مركز الحراسة ، فتبعه ، ودعا الى تناول قذح من الخمرة معه .
وما زال به ، يفريه حتى استطاع اخذ الرسالة التي كان يحملها الى هنري دي مونتوراني وفيها يقول ضابط الباب ، ان المارشال فرانسوا دي مونتوراني قد اراد مغادرة المدينة ، وانه شاهد في معيته الشخصين المطلوبين .. بارداليان وابنه .

وادرك بارداليان على الاثر ، ان هنري قد تمكن من حمل الملك على اصدار هذا الامر ، حتى لا يسمح لآخيه بمغادرة العاصمة والاعتصام في قصره في مونتوراني .

وان هنري والحالة هذه اصبح الحاكم المطلق على ابواب المدينة ، لا يستطيع مغادرتها احد الا بأمره .
وكان من اثر هذا ان اصبح من المتعذر مغادرة باريس واقتحام ابوابها .. فاقام الجميع في قصر المارشال فرانسوا ، عدة ايام ، يدرسون فيها موقفهم ، وما يجب ان يعملوا .

وفي هذه الاثناء ، اقبل على القصر جيلوت ابن اخت جيل ، بعد ان قطع هذا اذنيه كما قدمنا ، وطلب من بارداليان قبوله خادما عنده ، لانه يريد الانتقام من هنري دي مونتوراني ، الذي أمر بقطع اذنيه لوشايته به .

فقبله بارداليان ، دون ان يشك في شيء من امره .

الم في الصندوق

احتفل ملك فرنسا شارل التاسع في السوفر ، بعد عشرين يوما من عودته الى العاصمة ، بخطبة هنري دي نافار على اخته مرغريت ، فارتدى القصر اجمل حلل الزينة ، واجتمع فيه زعماء الكاثوليك والهيكونوت يرقصون ويشربون ، ويتندرون .

وكان شارل التاسع مسرورا لهذه النتيجة ، راضيا عن هذا الاتفاق . اما امه الملكة كاترين فكانت على خلاف ذلك ، كانت تريد القضاء على زعماء الهيكونوت وهم في باريس حتى تأمن على العرش الفرنسي ، وتطمئن الى ان ولدها الحبيب دوق دانجو سوف يجلس عليه بعد ان تقضي على كل من يزاحمه فيه .

وقد وقتت الملكة تتحدث الى ابنها شارل في احدى قاعات القصر المشرفة على نهر السين ، وهي تنظر الى النار التي اشعلها بعض سكان باريس هنا وهناك في مساء هذه الحفلة الفريدة .

وسأل الملك امه عن هذه النار ، فاجابته :

— لا بد انهم يحرقون منزلا يسكنه بعض الهيكونوت .

فاحسر وجه الملك وبان الغضب على وجهه وهدد بإرسال الجند لقتال هؤلاء المتحصين .

ولكن امه ، انذرته انه ان فعل ذلك اشعل الثورة في باريس وعرض عرشه للخطر ، وان الشعب غاضب لمقد الصلح مع الهيكونوت ، لانه لا يريد صلحا معهم بل حربا تحرقهم وتبيدهم .. وان من يساعدهم لا بد ان يسحق معهم .

وسمع الملك في هذه اللحظة صوت بعض افراد الشعب المحيطين بالقصر يصبحون بحياة الدوق دي كيز وحياة القائد العام ، فالتفت اليه امه مذعورا وسألتها :

— من هو هذا القائد العام ؟

— انه الدوق دي كيز .

— وما هي القيادة التي يتولاها ؟

— قيادة جند الكاثوليك .

— ما هذا الكلام يا اماء .. واين هؤلاء الجند ، ومن حشدهم ؟

— الا تعلم يا بني ان هؤلاء الجنود هم الشعب كله ، والذين ينكرون

الاعتراف بالهيكونوت في البلاد .

وضاق صدر الملك وقال لامه :

— اتريدون مني ان اخون كوليني الشيخ الجليل ، وهنري دي نافار

الذي عقدت خطبته مع اختي ، اني لن افعل شيئا من هذا .. فافعلوا اتم

ما تريدون ، فانا بريء من كل ما تفعلون .

وسرت كاترين ان تقض الملك يده من المؤامرة التي كانت تديرها

وقالت له :

— ان هؤلاء الذين تقول انهم يحبونك كانوا في سبيلهم لقتلك

وتنصيب هنري دي نافار مكانك .

واصر وجه الملك من الغضب والغيظ ، فصاحت امه ان يضبط عواطفه ، وان لا يدع احدا يحس بقلقه .

ثم غادرت واجتمعت الى مورفر ، وطلبت منه تدبير مؤامرة على الاميرال كوليني بحيث يموت قضاء وقدرًا ، كأن يسقط حجر على رأسه ، او ما شاكل ذلك حتى لا يشك احد في انه ذهب ضحية مكيدة او مؤامرة .. وسيكافىء الرجل الذي يقوم بهذا العمل خير مكافأة لاتقاده حياة الملك .

فقال مورفر :

— سوف اكلف احد اسدقائي بهذه المهمة .

ولما سأله الملكة عن الطريقة التي سيتولى بها صديقه قتل الاميرال . قال :

— من المعروف ان الاميرال يقادر اللوفر في ساعة معينة ، فاذا كمن له صديقي في منزل على الطريق واطلق عليه النار من النافذة ، ثم هرب ، فلن يعرفه احد ، ولن يشر عليه انسان .

ووافقت الملكة على الخطة ، واعطت (مورفر) حوالة على الخزينة بخمسة وعشرين الف فرنك ، على ان يدفع مثلها للصيديق بعد تنفيذ المهمة .. وان يخبره في الوقت نفسه بمد نجاحه انها بحاجة اليه ايضا .
سألها : ضد من يا سيدتي .

— ضد رجلين من اعدائي واعداء الملك ، ولا سيما اصغرهما ، فلولاها لماتت ملكة ناغار ، ولما اضطررنا الى عقد الصلح ، ولا كانت خطبة ابني على هنري دي ناغار ، فاذا تمكنت من قتلها اعطيتك مكافأة عظيمة ، وجملتك كوتًا .. بل ازيدك مائة الف فرنك عن كل واحد منهما .
وفطن مورفر عندئذ الى ان الرجلين هما بادرايان وابنه ، فشارت عواطف الغضب في نفسه ، وقال :

— لقد عرفتهما .. فهما بارداليان وابنه ، وهما الآن في قصر فرانسوا دي مونتورانسى ، وازيدك اني لا اريد مكافأة على قتلها ، وانا مستعد للتضحية بحياتي للقبض عليهما وختقهما بيدي هاتين .
 — لا بد انهما اساءا اليك اساءة عظيمة .
 فاشار مورفر الى خده . الذي اصيب بسيف بارداليان الابن وقال :
 — لقد قتلت حتى الآن ثلاثة رجال لانهم ضحكوا لهذا الاثر في خدي .
 وغادر مورفر الملكة الى الصالة الكبرى حيث اجتمع الى الدوق دي كيز ، واخبره بما جرى بينه وبين الملكة فقال له هذا :
 — لا تفعل شيئا قبل ان اصدر اليك امرى .. ومتى فعلت فحرب ان تجرح الاميرال جرحا بالغا ولا تقتله حالا .



واما الملكة كاترين فقد استقبلت بعد ذهاب مورفر ، الكونت دي ماريلياك وسألته عن الصندوق الذي اهدته له ، فاجابها :
 — انه صندوق نسائي من افخر ما وقعت عليه العين ، وقد استخدمته جلالة ملكة نافار لوضع قفازها فيه .
 فتهدت الملكة لتخفي فرحها ، ثم تحدثت اليه بشأن حبه لاليس دي ليكس ، وكيف انها عرفت به ، وان سبب تردد ملكة نافار بقبول زواجه بها ، كونها لقيطة لا تعرف لها ابا ولا اما ، وهي من عائلة دي ليكس بالتبني .
 وقد ضربت الملكة على الوتر الحساس في الشاب ، فقد كان هو بدوره لقيطا ، فارادت ان يخنو على فتاته ، رغم معارضة ملكة النافار ، التي كانت تعرف سر الفتاة ، وتعرف انها ليست لقيطة ، وانما هي امرأة تعرفت على أكثر من رجل واحد ، ثم اصبحت جاسوسة في المدة الاخيرة

لكاترين ، وحاولت بامر هذه الملكة القضاء على ملكة نافار عند دخولها
سرا الى باريس كما وصفنا في كتاب سابق .

وفرح ديودات بهذا الخبر فرحا عظيما وسأل الملكة فيما اذا كانت
توافق على عقد زواجه من اليس فوافقت ، واختارت هي الكنيسة التي
سيعقد فيها الزواج ، وهي كنيسة سانت جرمين ، والكاهن الذي سيتقوم
بعقد القران وهو الكاهن (بانيكارولا) .

واما الموعد فيكون اليوم التالي لزواج مرغريت ابنة الملكة ، والوقت
عند اتصاف الليل .

وقبل ان ينصرف لشأنه ، سأته ان يقسم بان لا يتحدث لاحد بما
جرى بينها فاتسم على ذلك ، وودعها وهو يحسب نفسه اسعد البشر .
ولما غادر ديودات الغرفة ، فتحت الملكة كاترين باب غرفة اخرى
ودخلت اليها ، فاذا باليس دي ليكس فيها فقالت لها :

— يجب ان تعلمي انه يجبك حب العباداة ، وعليك ان تعلمي ايضا انك
لست ابنة الكونت دي ليكس ، وانما انت لقيطة ، تبتاك الكونت ، وانك
لا تعرفين اباك ولا امك ، وان هذا هو السر الذي تعرفه ملكة نافار عنك ،
والذي جعلك تضطرين دائما وابدا حين تجتمعين اليه .

فقالت اليس :

— نعم يا سيدتي .

— وتعلمي ان احدا لا يعرف سرى سوى .. وملكة نافار .

« ولسوف تتزوجيه وتساقرين معه الى الخارج .. حيث تعيشين معه
بسلامة وهناء ، وكل هذا سوف سيتم تحت شرط واحد ، وهو الامتثال
لاوامري ، فاذا ترددت وتراجعت سحقتك وقتلتك » .
— سأمتثل يا سيدتي لما تأمرين شرط ان ينجو .

— اذهبي فاني اريد له الخير ، واحذري الخيانة .
ومضت (اليس) الى المنزل في شارع لاهاش ، وهي تظن نفسها في
حلم من الاحلام .

لقد كانت تعرف ان ديودات ليس غير ابن كاترين ، وقد سمعت منه
ذلك من خلف الباب حين كان يتحدث الى ملكة نافار بسر . . فهل يجب
ان تحدثه بهذا السر ، وهل تعلم كاترين نفسها انه ولدها ؟

لقد كان عليها ان تحاول الاستماع الى حديثهما من خلف الباب ،
ولكنها لم تجرباً خوفاً من الملكة . . واخيراً استقر رأياها على ان تلوذ
بالصمت فذلك خير وابتقى .



ذهب ديودات بعد ان غادر كاترين الى صالات اللوفر الواسعة يبحث
عن ملكة نافار ، وفيما كان يسر في هذه الصالات كان يجد بعض الكاثوليك
قد تجمعوا حول احد الهيكونوت يلاعبونه ويهزأون به ، دون ان يظن
هؤلاء لما يبته هؤلاء لهم من شر وبلاء .

وسمع الجميع في هذه اللحظة اصواتا تقول :

— اسرعوا بدعوة الطبيب فان ملكة النافار مريضة .

وكان السم الذي وضعت كاترين في الصندوق الذهبية التي اهدتها
لديودات ، ووضعها هذا تحت تصرف ملكة نافار ، فوضعت فيها قفازا ،
قد تسرب من الصندوق الى القفاز ، واخذ يفعل مفعوله .

وكان ان اقبل ديودات عليها في هذه اللحظة ، وحاول تقبيل يدها ،
ولكن الملكة جذبتها منه ، ووضعها على عنقها ، والعرق يتصب من
وجهها ، وقد جعلت عيناها ، وتبدل صوتها ، كأنها هي تخنق .

فصاح ديودات يأمر من حوله بفتح النوافذ ، ففعلوا .
واقبلت كاترين تتظاهر بالحزن الشديد وتقول :

— ماذا اصاب ابنة عمنا العزيزة ؟

واقبل الطبيب في هذه اللحظة ، وبعد ان فحص الملكة ، التفت الى
ابنها هنري دي نافار وقال له :

— ان امك يا سيدي مشرفة على الموت .

فجثا الملك على ركبته واخذ يبكي ، واستند ديودات الى سارية قريبة
حتى لا يسقط .

واتشر الخبر في اللوفر ، فصعق الهكوثون ، واسرع الزعماء يقفون
حول الملكة .

وتلقى الملك شارل الخبر بوجوم ، ونظر الى امه ، فاذا هي توصيه
بتمالك اعصابه ، فلم يسعه الا الامتثال ، وهو الضعيف عاجز .

واصدر امره بانتهاء الحفلة .

وفي الليلة نفسها ماتت ملكة نافار .



ذهب (جيلوت) كما قدمنا وبعد ان فقد اذنيه الى قصر المارشال
فرانسوا دي مونتوراني ، وطلب من بارداليان ، العمل عنده مدعيا ان
هنري دي مونتوراني قطع اذنيه ، وطرده من العمل لخياته له . .
واخبره بارداليان بمكان الاسيرتين .

فقال له بارداليان وهو يستمع الى حديثه :

— حسنا يا جيلوت ، سوف ابقىك عندي ، وسأبحث في الطريقة التي
يمكن ان نخدمنا بها .

« واجب ان اندرك باني اذا وجدتك تسترق السمع من خلف الابواب ، او تحاول خياتي ، فاني طبعا لن اقطع اذنيك بعد ان سبقني غيري السي ذلك . ولكنني سأقطع لسانك » .

وارتمش جيلوت حين سمع هذا التهديد .

وقال :

— ما الذي تجدونه من اللذة في تشويه وجهي ؟

— هذه هي طريقتي .. وهي طريقة خالك ايضا ، وتعلم انك اذا خنتني سوف اقطع لسانك ، وأمر الطباخ بقلبه بالزبدة ، ثم اكرهك على اكله .

وبدا الخوف يساور جيلوت ، حتى لقد فكر في خيانة خاله .

ثم تمالك اعصابه ولاذ بالصمت .

سأله بارداليان عن الطريقة التي يمكن ان يخدمه بها .

فقال له :

— اني اعلم ان الدوق دامفيل يريد قتلك اذا تسكن منك ، وستفعل

انت مثل ذلك اذا عقرت به ، ولهذا فخير سبيل لخدمتك ، هو ان اندرك

بما سوف يفعله قبل وقوعه .

— وكيف تتمكن من الوصول الى ذلك ، وقد حُرِدك من القصر .

— ان لي في القصر خادمة احبها وتحبني وتدعى جانيت ، وستقوم

بنقل اخبار القصر لي .

ووافق بارداليان ، وقام جيلوت بعد ان غادره بارداليان وشأنه ،

يفحص القصر ، والتأكد من عدد جنوده .

وفي صباح اليوم التالي ذهب الى خاله ، وقد ادعى امام بارداليان بان

ذاهب للأجتماع بالخادمة التي تحبه ويحبها ، فلما اجتمع اليه وصف له

حامية القصر ، وعدد الجنود فيه .

وكيف ان باردانيان وابنه يعيشان في هذا القصر ايضا ، وهما يعادلان كل الحامية .

سأله خاله : اين يقيم الفارسان ، واين يقيم المارشال فرانسوا ؟

وبعد ان عرف خاله منه كل ما يريد معرفته ، صرفه على ان يزوره في الاسبوع مرتين او اكثر ، وفي الطريق قرر (جيلوت) ان يخون الجانبين فيكسب من الطرفين ، خصوصا بعد ان عرف باردانيان بذهابه الى قصر هنري دي مونتورانسى ، وسأله عند عودته عن اخبار القصر بالتاكيد ، ويجب عليه ان يقول له شيئا بسره ويرضيه .



لقد احس المركيز بانيكارولا ، بعد ان اصبح راهبا بسبب فشله في حبه ، عندما اجتمع الى (اليس) من جديد ، انه لا يزال يحبها جدا هو اقرب الى العبادة ، وانه لا يستطيع العيش بدونها .

وقد عرض عليها اعادة ولدها اليها كما قدما ، ومغادرة باريس الى ايطاليا حيث يعيشان حياة سعيدة وارفة ، بسبب الثروة التي كان ينعم بها المركيز .

ولكن (اليس) رفضت ، فقد كان حبا للكونت دي ماريلياك قد ملك عليها كل عواطفها ، فعاد الراهب الى الدير حزينا يائسا ، حتى زارته الملكة كاترين متكررة ذات يوم مع احدى وصيفاتها .

وتحدثت اليه عن حالته الحاضرة وبأسه من الحياة ، وكيف ان (اليس) سوف تزوج ماريلياك ، فاهتز وتأثر ولسسته الغيرة حين علم بقرب هذا الزواج ، وعندئذ اعلمته الملكة ان (اليس) قد تعود اليه والى حبه ، اذا عاد الى القاء عظامه ضد الهيكونوت ، وضد الاميرال كوليني ، والبرنس

دي كونده ، وماريلياك ، فوافق الراهب على ذلك املا في عودة حبيته اليه .. وختت كاترين حديثها .

— قم بما طلبته منك وعليّ الباقي .. واعلم ان القنبلة لم يعد ينقصها غير خطبك المثيرة لتنفجر .

وفي اليوم التالي التقى بانيكاردلا خطبة في جمع من الكهنة يزيد عددهم على ثلاثة الاف كاهن ، مع عدد قليل من المدّين بينهم الدوق دي كيز ، والدوق دي تافان، والدوق هنري دي مونتورانسي ، وكيرس الجوهري، وكرفيه الكتبي ، وبيزوا الجزائر ... وهم الثلاثة الذين تزعموا الشعب في المذبحة ضد الهيكوتوت .

كما حضرها جمع من الناس كانوا يقفون خلف باب الكنيسة المقل . ولما اتى الراهب من خطبته تار الناس ، والرهبان وتحسوا وغادروا الكنيسة .

واخيرا نهضت امرأة كانت جالسة في لوج لا يراها فيه احد من الحضور ، فلما وصلت الى الباب التفت حولها بعض النبلاء ، وساروا بها في مركبة الى اللوفر .

وكانت لما فرغ الراهب من خطبته ، قد نظرت من مكانها الى حيث يقف الدوق دي كيز وبعض انصاره وقالت وهي تتقد حقدا وغضبا :
— يا آل لورين افتكوا بالهيكوتوت ، فسوجد بينهم من يحاربكم بمثل ناركم ، فاتهي من اعدائي دفعة واحدة .

« اما الملك فلا فائدة من قتله ، لان مرضه سوف يقتله ، وسيجلس على العرش بعده ولدي العزيز هنري ، وبملك سعيدا تحت رعاية امه ومراقبتها » .

وفي اليوم التالي اذيعت خطبة بانيكارولا في جميع الكنائس ، فكثر الوعيد والتهديد ، والمظاهرات .

وفاق الهكوت لهذه المظاهره العداية ، وخبوا ان يكون هناك
شيء خلف الاكمة ، ولكن الملك مضى في اكرامهم ودعوتهم الى اللوفر ،
متخبيا اليهم متوددا .. فما لبثوا ان هدأ روعهم واخذوا يستعدون لزواج
هنري دي نافار بالاميرة مرغريت شقيقة الملك ، وهم يقولون في انفسهم :
— لا بد ان تكون هذه نزوات شعبية يقوم بها بعض المتطرفين ، ولا
شان للمسؤولين في باريس بها .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

- ٣ -

القبض على بارداليان وابنه

لقد كان الموقف في فرنسا في هذه الفترة ، من الزمن ، يدعو الى الحذر وينذر بشر المصائب والشور .
وكانت الملكة كاترين تعمل المستحيل لاجلاس ابنها هنري السدوق دانجو على عرش فرنسا ، مكان اخيه شارل التاسع ، الذي كان مريضا ، والذي كانت الملكة اي امه .. تتوقع موته في وقت قريب .
ولاجل المحافظة على عرش ولدها هنري ، قررت القضاء على زعماء الهيكونوت الذين كانت تتهمهم بانهم يسعون ليعضوا على عرش فرنسا ملكهم هنري دي نافار ، بزعم انه ملكة نافار ، التي استطاعت الملكة كاترين قتلها بالسم ، كما قدمنا في فصل سابق .
ولما تمكنت كاترين من جلب كل زعماء الهيكونوت الى باريس لحضور حفلات زفاف ملكهم على شقيقة الملك شارل التاسع ، قررت الاستفادة من هذه الفرصة والقضاء عليهم جميعا باثارة الشعب ضدهم ، فينجو العرش والحالة هذه ، من كل خطر قريب او بعيد .
وكانت تعمل في الوقت نفسه ان السدوق دي كينز ، لا يضر للعرش

اخلاصا ، الا بقدر ما يقدمه هذا العرش له من فائدة وسلطان .
فتجاهلت اغراضه ودفعته لمحاربة الهيكونوت ، ولتزعج الحملة
ضدهم ، لتضرب خصومها بعضهم ببعض ، فتخلص منهم جميعا .
حتى اذا خرج الدوق دي كيز من هذه المعركة اخيرا ، خرج منها
ضعيفا ، فتقبض عليه بدوره .
ولا بد في الوقت نفسه ان يموت ديودات ابنها في المعركة ، فتنجو من
عاره ، وتنتهي منه .

واما دي كيز فقد قبل تمثيل الدور الذي عهد له به ، لانه وجد انه ما
دام الشعب الفرنسي يتقم على الهيكونوت ، فلماذا لا يضع نفسه في
صفوف هذا الشعب ، ويتزعج الثورة ضد هذه الجماعة ، حتى اذا نجح
في ابادتهم ، اصبح قائد الشعب وزعيمه ، واتهم الملك بانه كان يساليء
الهيكونوت ويعطف عليهم ، فيثير الشعب ضده ، ويحذف على اللوفر
فيحتله ، وينصب نفسه ملكا على فرنسا .

وكان ان اخذ يستميل اليه بعض النبلاء ، لتحقيق اغراضه هذه ،
كهنري دي مونتوراني والمارشال تافان ، وحاكم الباستيل ، الذي كان
سيكلف بسجن ملك فرنسا عند خلعه عن عرشه .
ومضى تم له ذلك اوقف المذبحة ، فيرضي الطرفين المتنازعين دون ان
يخسر شيئا .

وكان هنري دي مونتوراني قد جلب من مقاطعته قوة تقدر بسبعة
الاف جندي ، لهذه الغاية .

وكان يطمح ان يحل محل دي كيز على عرش فرنسا ، وان يتمكن من
قتل اخيه ، واسترجاع جان ، لعلها تقبل به بعد مقتل زوجها ، ولو علم انها
جنت ، لبدل فكره بالتأكيد .

واما فرانسوا شقيقه فلم يكن يعلم طبعاً ، بما يدبره له شقيقه .
 وكان ينتظر الفرصة السانحة ، للخروج بزوجه وابنته من باريس ،
 ليضعهما في حصنه ، حيث يكونان فيه اكثر اطمئنانا وسعادة .
 واما بارداليان الصغير ، فقد كان سعيدا بعد ان وثق من حب لوزا له .
 ولكنه لم يكن مطمئنا الى ان والدها سوف يزوجه بها ، بعد ان سمعه
 يقول ، انه سيزوجها من الكونت دي مارجنسي .
 واما (جان) ، فقد كانت اسعد الجميع واهنا الجميع ، لان جنونها
 جعلها لا تشتر بالمخاطر حولها .. فكانت والحالة هذه هادئة ناعمة البال
 باسمة ساكنة في اكثر الاحيان .
 وكان فرانسوا دي مونتسوراني ، قد خسر ثقة الطرفين المتنازعين ..
 فرعاء الكاثوليك كانوا يعتقدون انه من مناصري الهكوتوت ، وهؤلاء
 اجتنبوه حين شاهدوه يقف على الحياد ، ولا يريد ان يضع اصبعه في هذه
 المشاكل الداخلية ، التي سوف تعصف بفرنسا ، وتؤخرها عن التقدم
 والعمران .



وكان بارداليان الكبير في هذه الاثناء ، وفي ليلة من ليالي آب الحارة،
 قد جلس يفكر في الخير الذي نقله له جيلوت ، من ان هنري دي
 مونتسوراني سوف يكون وحده في قصره هذه الليلة ، فقرر الذهاب
 اليه والاجتماع به .

وفكر ان يخبر ولده بفرضه ، ثم عدل عن ذلك وغادر القصر فلما بلغ
 قصر هنري دي مونتسوراني ، وجده مظلما مقفل الابواب والنوافذ .

فدار حول القصر ، فلما لم يجد احدًا تسلق السور ووثب منه الى الحديقة .

فلما وصل الى الباب الداخلي فتحه بسكينه ، ثم مضى الى الغرفة التي يقم فيها هنري دي مونتوراني ، فلما حاول فتح بابها ، انفتح لساعته ، وظهر على عتبة هنري نفسه .. وهو يحمل مصباحا في يده . . .
وذعر بارداليان رغم جرأته العظيمة .

لقد كان ينتظر ان يجد المارشال وحده ، مطمئنا هادئا ، فاذا به يجده في انتظاره .

ودار بين الاثنين حديث طويل ..

اعلن فيه هنري انه كان ينتظر بارداليان ، لان الفيكونت اسبرمونت كان يراقب قصر فرانسوا دي مونتوراني وقد شاهده يغادره خفية فتبعه حتى رآه يتسلق سور هذا القصر .

ثم فتح له ابواب غرفته فاذا خلفها جمع من الحراس يحملون السلاح .
فقال بارداليان عندئذ :

— لقد كنت اتوقع ان اجدك وحدك فابارزك بعد المتاعب التي وضعتها في سبيلي وسبيل ولدي .. وما دام هناك شهود خلف الابواب ، فقد سرتني ان الناس سيقولون بعد المعركة ان هنري دي مونتوراني قد قتل قتلا ببارزة شريفة ، وليس حيلة ولا غدرا .

واستشر هنري بالاحترام نحو هذا الفارس الذي لا يهاب الموت ، واخذ يعاتبه على موافقه منه ، وخيائه له ، فاعتذر بارداليان ، بانه لم يخنه ، ولم يعبه بالمساعدة على قتل امرأة ، ولهذا اعاد الطقلة الى امها .
ولو انه طلب منه قتل ملك فرنسا ، لما تردد ولا اعتذر ، واما قتل

النساء فهذا ليس من شأنه .
وختم حديثه قائلا :

— ولو اني اردت خياتك لذهبت الى ملك فرنسا وقتلت له : « ان هنري دي مونتسوراني يريد قتلك بالاتفاق مع الدوق دي كيز ، ولكني لم افعل » .

وقد عرف هنري من حديثه ان بارداليان لم يحدث شقيقه فرانسوا بخياته هذه للملك .

ولكن ولده يعرف القصة طبعاً ، وهو قد يذهب الى الملك اذا عرف ان والده اسير عند هنري او انه قتله .

وعندئذ عرض هنري على بارداليان ان يغادر باريس هو وابنه ، مقابل مبلغ من المال ، وان يدعو ابنه الى القصر للاتفاق معه على مغادرة باريس . واجابه بارداليان ان ابنه لن يفعل ، وانه سيشتك بهنري ولا يامن جانبه ، ولا يصدق مواعيده .

ولهذا فلا فائدة ترجى من الكتابة اليه ... ودعوته الى القصر . واهتز هنري لما سمع هذا الجواب ، وصاح بحراسه ليقبضوا عليه . فجرد عندئذ بارداليان خنجره ، ووثب على هنري وهو يقول : — سوف تموت قبلي ايها القدر .

ولكن هنري التي بنفسه ارضا ، وسقط بارداليان فوقه ، فانقض عليه الحراس واوثقوه ، وامر هنري بارساله الى سجن الباستيل ، ريثما يفكر في مصيره .

وكانت هذه اول خيانات (جيلوت) .

وكان بارداليان الاصغر في هذه الاثناء يزور صديقه ديودات في كل يوم ، فيقيم معه ساعات يتحدثان بجهما ، وقد ذهب اليه في يوم من ايام الاحاد لزيارته كالعادة ، فوجده فرحاً سعيداً ، وعرف انه سيتزوج الليلة من (اليس) ، بعد ان تم زواج هنري دي نافار ، سرغريت شقيقة ملك فرنسا .

وان حفلة الزفاف ستعقد في كنيسة سانت جرمان عند اتصاف الليل،
 وستولى ملكة فرنسا بنفسها الاشراف على هذا الزواج .
 ولكن بارداليان احس بانقباض خفي يتملكه لهذا الخبر ، ولكنه كتم
 هواجسه عن صديقه ، وقرر ان لا يفارق ديودات في اثناء الزواج .
 حتى اذا حدث ما ليس بالحسيان ، دافع عنه ، ورد كيد اعدائه .
 ولحظ ديودات انكماش بارداليان فسأله عن شأنه .
 فأخبره ان والده غادر القصر منذ ثلاثة ايام ، ولم يعد اليه حتى الآن .
 فطمأنه ديودات ، وقال له :
 — ان والدك يستطيع الدفاع عن نفسه ، فلا خوف عليه .
 ثم دعاه الى قدح من الخمره يشربانه في حانة قريبة .
 ووافق بارداليان وهو يقول :
 — ان ابي يسير على خطة تخالف سياستي ، واخشى ان يفسد غيابه
 خطتي هذه .

— ما هي خطتك ؟

— لقد استطعت اقراء احد الضباط ، الذي يتولون حراسة احد ابواب
 باريس ، يوم الثلاثاء القادم ، وقد وعدني ان يدافع قليلا ثم يتراجع
 ويتركنا نغادر باريس .. شرط ان يكون هجومنا شديدا قويا .
 « واني اعتمد على مساعدتك .. وسيكون اللقاء في الساعة السابعة
 مساء » .

فقال ديودات :

— حسنا ، سأحضر مع عشرين من رجالنا .
 وشاهد الصديقان الناس يحشدون حول احد الاديرة ، ثم علموا
 ان عجيبة حدثت فيه .
 فوققوا ينظرون الى الجمع المحتشد ، وعندئذ سمعوا صوتا يقول :

— هوذا اثنان منهم •

وكان الناس قد ركعوا عند مرور الرهبان ومعهم الحلة المقدسة ، فلم يبق واقفا غيرها ، فلما صاح الصوت : هؤلاء منهم • • احاط الشعب بهم وهم يصيحون ؟

— ليمت الهيكونات •

كان الصوت صوت (مورفر) ، وقد عرفه بارداليان ، ونظر الشابان الواحد للآخر ، وتأكدا من الموت ، وجردا سيفيهما •

وعندئذ ظهر احد الرهبان •

وصاح الناس :

— « هذا هو القديس » •

وكان الراهب القديس (لويين) صديق بارداليان ، فلما شاهده اسرع اليه يعانقه ، فنثرق الناس من حول الرجلين ، ورأى بارداليان زاوية تحت الدير •

فقال لصديقه :

— هيا بنا تب اليها فانا نستطيع الدفاع منها •

واندفعوا الى الزاوية يفرقان الناس بسيفيهما : فلما وصل ماريلياك

اليها ، وجد نفسه وحده فيها •

فحاول ان يعود ليبحث عن بارداليان ، فامتدت اليه الايدي تسكه ،

وتحمله الى الدير •

وكان بارداليان حين تبع صديقه الى الزاوية ، قد وجد امامه سدا من

الناس بقيادة مورفر ورفاقه ، فما زال يدافع عن نفسه ، حتى تغلب عليه

الشعب •

وقيده (مورفر) بحبل متين وامر بادخاله الى الدير ، بعد ان جرح نحو

عشرين شخصا : كما اصيب هو ايضا ببعض الجراح •

ولما وصل مورفر الى الدير تحدث الى رئيسه ، ثم ذهب فاطلق سراح ماريلياك .

فدعاء هذا الى المبارزة ، فاجابه الى ذلك غدا صباحا في مروج الرعاة ، وقد اعترض (مورفر) على هذه الدعوة للمبارزة ، بعد ان انقذه من ايدي الشعب ، ولولاه لفتكوا به .. وانه انما انقذه لان الملكة لا تريد له الموت . وساله ماريلياك عن بارداليان ، فاجابه :

— انه قد ارتكب جريمة العصيان ، واهان الملك ، فقبض عليه .

— ومن الذي امرك بالقبض عليه ؟

— جلالة الملكة كاترين .

وغادر مورفر الغرفة بعد ان ترك الباب مفتوحا ، تاركا ماريلياك وحده يفكر .

وقال هذا لنفسه :

— سأرى فيما اذا كانت الملكة تعطف عليّ حقا .. لاني سأذهب اليها

لاطلب منها اطلاق سراح بارداليان .

وغادر الدير متوجها نحو اللوفر .

ولكن (مورفر) سبقه اليه ، وكانت كاترين بانتظاره .. لينقل اليها

خبر القبض على بارداليان الابن ، وارساله الى سجن الباستيل .

وكانت الملكة في هذه اللحظة تكتب بعض الرسائل ، فلما فرغت منها ،

قرعت جرسا ، فاقبل احد الحراس ، فامرته بتوزيعها على سعاة البريد الذين

كانوا ينتظرون في الردهة ليركبوا جيادهم ، وليفادروا باريس ، ينقلون

هذه الرسائل الى اصحابها .

وقالت الملكة لما فرغت من ذلك لمورفر :

— اريد ان تنقل الى صديقك الدوق دي كيز ما رأيت ، وهو اني

ارسلت الى حكام الاقاليم ليعثوا بكل ما لديهم من الجنود الى باريس .

لمعاقبة هؤلاء الاغرار ، الذين يتآمرون على الملك .

« قل هذا لصديقك الدوق دي كيز ، وليعلم ان ستين الف جندي سيكونون في العاصمة بعد ايام .. واما انت فما تريد ان اصنع بك ؟ »
ومادت الارض تحت قدمي مورفر .. واحس بحبل الجلابد يلتف حول عنقه .. وركع عند قدمي الملكة وهو يرتجف من الخوف والذعر .
امزته الملكة ان ينهض .

وقالت :

— ان ينقدك غير الصدق ، فحدثني الى اين بلغت مؤامرة الدوق دي كيز ؟

وضبط (مورفر) اعصابه ، كي لا يسقط ارضا ، وهتف يقول :

— اقسم لك ان لا علاقة لي بالمؤامرة والتآمرين .

فصاحت به باحتقار :

— ومن امحك بالتآمر .. ان من يفعل هذا يجب ان يكون شيئا مذكورا ، ولكن لا بد ان تكون قد سمعت شيئا عن هذه المؤامرة ، فحدثني بما سمعته .

فقال مورفر وقد صعق لهذا الجواب :

— يقولون يا سيدتي ان ملك فرنسا يتساهل مع الهيكونوت ، ولما كانت عامة الشعب في باريس تنقم عليهم ، فقد رأى الدوق دي كيز الافادة من غضبة الشعب هذه ، ليكون قائدا للشعب ضد اعداء الدين .

— وبعد ذلك ؟

— هذا كل ما سمعته يا سيدتي .

— قل كل ما سمعته .

فقال :

— وحين يتصر الدوق دي كيز في باريس ، ويصبح قائدا للشعب — وهذا افتراض مني — لاني لم اسمعه من احد ، فانه سوف يحاول الوصول الى عرش جلالة الملك .

وقالت الملكة في نفسها :

— لا بد انه لا يعلم اكثر مما قاله .

وكتبت له ورقة يبلغ خمسين الف فرك ، فسر بها ، وسر اكثر من ذلك بنجائه من عذاب هذه الملكة القوية .

ومضى يشكر الملكة ويسألها ما تريد ان يفعل ببارداليان الاصفر ؟
فقال له :

— ضعه مع والده في سجن الباستيل ، لاني عانت من هنري دي مونتسوراني انه قبض على الاب ايضا .

سألها ان تسمح له باستطاقهما وتمذيبيهما ، فوافقت ، وعينت له الساعة العاشرة من صباح يوم السبت الواقع في الثالث من شهر آب ، موعدا لذلك .

فقال مورفر في نفسه :

— اذا لا بد من الانتظار خمسة ايام اخرى .. ولكن لا بأس .. لقد

صبرت طويلا حتى الآن .

ووعده الملكة اخيرا ، ان تتركه يفعل بالرجلين ما يشاء ، شرط ان يقتل الاميرال كوليني ، من الآن الى نهار السبت . كما وعدها ان يفعل .

فقال :

— سيكون لك ما تريد يا سيدي .

فأمرته عندئذ بالانصراف وهي تقول لنفسها :

— لقد قضى على كوليني .. ولن ينجو من الموت بالتأكيد .

وفي هذه اللحظة وصل ديودات الى القصر وطلب مقابلة الملكة ، فلما

مثل امامها ، ركع على قدميها وطلب اطلاق سراح صديقه .

فوعده الملكة ان تفعل غدا الثلاثاء ، بعد ان انكرت ان تكون لها

علاقة بالقبض عليه ، وان الملك هو الذي امر بذلك ، كما وعده ان

تحضره الى الوفر لتسأله وتستنطقه .

وكان بارداليان في هذه الاثناء قد نقل الى الغرفة التي كان فيها ابوه في سجن الباستيل .

فقص كل منهما على الآخر اخباره حتى ساعة القبض عليه ، وقد ايقنا ان لا سبيل الى الفرار من هذا السجن ، وان الموت سيكون نصيبهما بالتأكيد .

واخذ بارداليان الصغير يبكي في هذه الاثناء .
فقال له ابوه :

— لماذا تبكي .. لعلك تذكرت (لويزا) ؟

— كلا .. ان فراقها لا يبكييني بعد ان ايقنت من حبها ، ولكني ابكي صديقا سوف تقتله امه ، وهو يحسب انها تحبه .
وكان هذا الصديق ديودات طبعاً .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

- ٤ -

مكائد كاترين

اخذت اجراس الكنائس تفرع في الساعة الثامنة من صباح الاثنين
الواقع في ١٨ آب سنة ١٥٧٢ في باريس خصوصا في كنيسة نوتردام ، فيما
كانت الجموع المسلحة تتوجه نحو الكنيسة وهم يصيحون .. بحياة
الدوق دي كيز .

وبعد قليل دوت المدافع من قصر اللوفر ايذانا بخروج الموكب الملكي
منه .

كان هذا اليوم هو موعد زفاف ملك نافار على مرغريت شقيقة ملك
فرنسا .

ولما وصل الموكب الى الكنيسة دخل اليها من رجال الهيكونوت
الاميرال كوليني ، والبرنس دي كونديه ، والكونت مارطياك .
وقد دخل كوليني الى الكنيسة بدعوة من الملك نفسه ، اما البرنس
دي كونديه ، فقد فعل لان ملكة النافار اوصت قبل موتها ان لا يغارق
ولدها ابدا .

واما مارطياك فلانه كان ينتظر ان يشاهد (اليس) .. بعد ان جعلتها
الملكة من نساء بلاطها .

فبما وقف بقية رجالات الهيكونوت وعددهم سبعمائة على باب
الكنيسة يستمعون الى هتافات الشعب ضدهم .

والثفت كاترين وهي تتظاهر بقراءة كتاب الصلوات ، فشاهدت
(سالفاني) مندوب رومية قريبا منها ، ف اشارت اليه ليدنو منها ففعل ،
فسأته متى يغادر باريس الى رومه ؟
فقال :

— اني مسافر اليوم الى رومه . فماذا اقول لهم هناك .. هل اقول
لهم ان ملك فرنسا قد عقد الصلح مع الهيكونوت وسالمهم .. اهذا ما
تريدون ان اقوله لهم ؟

فجالت :
— كلا .. قل لهم ان الاميرال كوليني قد مات .
فارتعش سالفاني وقال :

— ولكني اراء بجانب ملك فرنسا .
فجالت :

— انك ستصل رومه بعد عشرة ايام ، وحين تصل اليها يكون الاميرال
قد مات .. كما لن يبقى في فرنسا احد من الهيكونوت .
وعاد سالفاني الى مكانه وقد اصفر وجهه لهول ما سمع .
وقد لاحظت المروس مرغريت حديث امها مع مندوب (رومه) فسان
القلق على وجهها وقالت لزوجها هنري دي نافار :

— هل شاهدت امي تتحدث مع سالفاني ؟
— لا .

— اذا فاعلم ان الحالة لا ترضيني ، والافضل ان لا تفارقني ابدا .
— هل انت خائفة .. اني لا اشم غير رائحة البخور .
فجالت :

— اما انا فاني اشم رائحة البارود .

فقال لها بعدما نظر اليها مليا :

— اني اؤمن باخلاصك لي .. وقد بت قلقا ما اشاهده حولي .. فهل

استطيع الاعتماد عليك ؟

فقات :

— نعم .. ولهذا حذرتك ان لا تفارقتي لحظة بعد اليوم .. ما زلنا

في باريس طبعاً ، ومتى خرجنا منها فسأترك لك حركتك ليلاً ونهاراً .

فقال :

— انت يا سيدتي من الطف النساء ، وما زلت قد تفضلت بحمايتي

فلن اخاف شيئاً .

وبعد ان انتهى الكاهن من عقد زواجهما ، عاد المركب الى اللوفر

حيث بدأت الحفلة الكبرى .

ولما تفرق للناس جماعات ، ذهبت مرغريت بزوجها هنري الى شقتها

الخاصة في اللوفر ، ودخلت به الى غرفة فيها .

وقالت له :

— هذه هي غرفتي الخاصة ، وقد وضعت فيها سريرين واحد لك

وآخر لي .. وما دمت فيها فانا المسؤولة عنك ، ولن يجراً احد على

الدخول اليها .

فاسفر وجه هنري .

وقال :

— حدثيني بما تعلمين .. انتظنين انهم يجراون ؟

— لا ادري .. الذي اطمه انك ستكون في امان في غرفتي .. فلا

تسي ذلك .

وعاد الاثنان الى القاعات الكبيرة ، حيث كانت تقوم الحفلة، ومرغريت تقول في نفسها :
- انه بين مصريين .. اما ان يحصل على طعنة خنجر .. او يصل الى عرش فرنسا .



كان جماهير الشعب الباريسي قد تجهمت حول اللوفر وهم يصيحون :

- ليت الهيكونوت .

ولكن الامطار الشديدة التي هطلت ، فرضت على الكثيرين منهم العودة الى منازلهم ، فلم يبق منهم غير ثلاثة آلاف ، كانوا اشدهم تحمسا وتعصبا .

وكان زعماء الهيكونوت الذين حضروا الحفلة يسمون هذه الصيحات العدائية ، فيقلقون ، ثم لا تلبث الطمأنينة ان تعاودهم ، لانهم في ضيافة ملك فرنسا ، ولن يحاول ملك فرنسا الاعتداء عليهم وهم عنده في قصره .

ثم انهم كانوا على استعداد للدفاع عنه ، لاعتقادهم ان (دي كيز) هو المحرك لهذا الشعب ، وهو الذي يحاول اثارة الفتنة ، ليخلع الملك ويجلس مكانه على العرش .

وكان ان اقتربت كاترين من ابنها شارل التاسع .
وقالت له :

- انت تسمع هتاف الشعب ، فاذا لم تتحرك تحرك دي كيز وانصاره .
فارتعش الملك غضبا وذهرا ، وانتقدت عيناه بوميض من النار ، هو الذي كان يستبق كل نوبة من نوباته ، فأخذ يضحك ضحكا عاليا .

وتظاهرت كاترين انها لم تسمع ضحكاته ، وسارت نحو شقتها الخاصة ، وكلما دخلت قاعة ، انحنى رؤوس الموجودين لها ، وكلما التقت امرأة من نساء بلاطها ، التقت اليها بكلمة ومضت في سبيلها ، حتى دخلت الى غرفتها ، ومعها اليس دي ليكس .. فلما جلست على كرسيها قالت لها :
- عليك ان لا تبرحي اللوفر هذه الليلة .. فحاولت (اليس) الاعتذار .

فقال لها الملكة :

- اني اعلم انك على موعد مع ماريلياك في الساعة الثامنة من هذا المساء .

ولما بدا الذهول على وجه اليس ، قالت لها الملكة :

- يجب ان تعلمي اني اعرف كل حركة من حركاتك ، وان لورا العجوز التي تسكن معك ، هي التي تقدم اليّ التقارير عنك ، فاحذري يا اليس في المستقبل ، واحسني اختيار خدمك .

واعتاجت اليس وتولاها ذعر وخوف عظيمين ، ومضت الملكة تقول :
- وتعلمي ان ماريلياك سيوح لك بسر عظيم عند الاجتماع بك .

« واما هذا السر فسأخبرك به انا ، وهو انه يريد الذهاب بك الى كنيسة سانت جرمنين » .

« اتدري لماذا يا اليس ؟ »

فلما اجابت بالنفي ، اخبرتها الملكة انه سيذهب بها الى الكنيسة ليعقد زواجه عليها .

وخفق قلب الفتاة ، واعتقدت ان الملكة تقول الحقيقة ، وسألها عن الرسالة التي تملكها ضدها .. والتي وعدتها بردها اليها ، فاجابتها ، ان (بانيكارولا) سيردها اليها ، لانه هو الذي اخذها منها .

وانها ستجتمع به عند الساعة الحادية عشرة ، وعند منتصف الليل
تجتمع الى ماريلياك .

وبدا التلق على وجه الفتاة ، من رغبة الملكة في اجتماعها الى
(بايكارولا) ، ولكن الملكة هومت من خطر هذا الاجتماع عليها ،
وسألها ما الذي ستفعله بعد زواجها ، وهل ستقيم في باريس مع زوجها ،
ام تغادرها ؟

ولما كانت (اليس) تعلم ان ماريلياك هو ابن الملكة كاترين وقد كنت
هذا السر في قلبها ، مخافة ان تعلم الملكة بانها تعرفه ، فتتلقها .

فقد رأت ان تتكلف الحيلة ، فاجابت الملكة ، انها تفضل السفر حالا
الى خارج باريس ، وبعد الزواج مباشرة .

وارتعتت الملكة لما سمعت هذا الجواب ، والطمأنت الى صدق اليس ،
واخذت تفكر فيما اذا كان من الواجب قتل ماريلياك ام تركه يذهب في
سييله .

وبعد قليل قالت :

— ستنتظر كما مركبة عند منتصف الليل ، امام باب الكنيسة لتذهب
بكما الى خارج باريس .

وسأصدر الامر الى حرس (باب سانت ديس) ليسمحوا لكما
بالخروج .

والافضل ان تذهبا تورا الى ليون ، ثم تذهبان الى ايطاليا ، فتقيمان
في فلورنس ، وتنتظران تعليماتي فيها .

وركعت اليس عند قدمي الملكة ، ووعدتها بتنفيذ اوامرها .
وعندئذ اخبرتها الملكة بسرها ، وان لها ولدا من غير الملك ، وان

ماريلياك يعرف هذا السر .
وعندئذ تظاهرت اليس بالدهشة العظيمة ، وانكرت ان يكون خطيبها

يعرف هذا السر .

سألها الملكة :

— كيف عرفت ذلك ؟

فقلت :

— لو ان ماريلياك يعرف هذا السر لآخبرني به ، فهو لا يكتم عني

شيئا .

وكان جواب اليس مقنعا ، فعادت الملكة تفكر في الموقف ، ثم عادت
تطلب من اليس ان تعمل المستحيل لمعرفة اسم ولدها هذا الذي تجلس
مكانه ، واسمه .

والذي تعتقد ان ماريلياك يعرفه ، وان تحاول انتزاع هذا السر من
ماريلياك عند وصولها الى فلورنسا .. لانها في شوق لرؤيته ، ومعرفته ،
فانطى حديثها على اليس ، ووعدتها ان تعمل .

وقالت :

— سيدتي ، اقسم لك انك ستريين ولدك ؟

— او ائمة انت مما تقولين ؟

— كل الثقة .

فأطبقت الملكة عينها تخفي اضطرابها وحقدتها ، وقالت في نفسها :

— لقد اعترفت الآن انها الشقيقة بانك تعرفين سري .. واذا فقد

كان اعدائي ثلاثة ، ملكة النافار ، وماريلياك ، واليس ، وقد هلكت ملكة

النافار ، وجاء الآن دور ماريلياك واليس .

وغادرت العرفة بعد ان وعدتها بالاجتماع بها ليلا ، وسألها البقاء في

اللوغر حتى ترسل في طلبها .

وكاد المرح يقتل اليس لما خلت الى نفسها ، فبكت سرورا ، وراحت

تقول لنفسها :

— لقد بسم الدهر لنا اخيرا ، وانهت ايام الشقاء .

★ ★ ★

مضى اليوم الاول من الزواج ، وهدأت العاصفة ، وعم السرور
الجميع ، وخفت مظاهر النعمة على الهيكونوت ، كأنما صدرت اوامر الى
زعماء الشعب ، بالمهادنة والسكوت .

وذهبت كاترين في الساعة العاشرة الى كنيسة سانت جرمين ، حيث
اجتمع فيها خمسون امرأة من نساؤها كلهن يأترن بأمرها ، وقد تقلدن
الخاجر .

وكانت الملكة تشير الى كل فتاة اشارة بطيئة سريعة ، وكانت قد
اختيرت من برعن في التجسس والاحتيال ، وسيرتهن لاعمالها
وانراضها .

وقد وقعت الملكة فيهن خطيبة ، فأخبرتهن ان الساعة لانقاذ الملكة
قد دنت ، وان مؤامرة قد دبرت لقتلها ، قام بها خمسون رجلا من
الهيكونوت ، ليقتلوا نساؤها الامينات الوفيات .. ولكنها عرفت بها
قبل وقوعها .

وبرقت عيون النساء بغضب هائل ، وامسكن بخناجرهن ، وصدرت
من افواههن مختلف الشتائم .
ومضت الملكة تقول :

— ان التي خاتنا ، هي احدي نسائي ، وكنا ثق بها ونعطف عليها ،
وهي اليس دي ليكس .

فصاحت الفتيات بصوت واحد :

— النافارية الحسناء .. .

واهتاجوا وثاروا ، وانطلقت الستهن بالشم والتهديد ، فلما هدأوا ،
مضت الملكة تقول :

— واما الرجل الذي كان يريد قتلكن جميعا ، فهو الكونت ماريلياك
المتافق المحتال .. عند منتصف الليل .

« ولكني لن اكلفنك بقتلها ، الا بعد ان يقتل (بايكارولا) ، او يستطيع ماريلياك الدفاع عن نفسه ، وعندئذ اشير لكن اشارة خاصة ، فتندفن اللاتقام منها .. وهذه الاشارة هي ان ارفع خنجري واقول :
- هذا ما تريده النساء .

وعندئذ غادرت الملكة مكانها الى لوج خاص ، كما غادرت النساء المكان ، حيث وقمن ينتظرن الساعة الحاسمة .. وراء الهيكل .
واقبل رنيه القلبي الى الملكة وهي تفكر في لوجها ، يطلب منها العفو عن والدها .

ولكن الملكة اجابته ان هذا مستحيل ، لانها بعد ان استنطقت اليس ، عرفت من كلامها ، انه يعرف انها امه ، وان اليس ايضا تعرف ذلك .
ورغم محاولات رنيه رفضت الملكة العفو عن ماريلياك ، وقرع الباب في هذه اللحظة ، فأمرته بالذهاب لفتح .

فذهب وقد انمرورت عيناه ، كئيبا حزينا ، فظهر من خلفه راهب ستر عينيه بقبعته .

فسأل القادم رنيه :

- الى اين يجب ان اذهب ؟

فأشار رنيه الى حيث كانت الملكة ، وقال :

- اذهب اليها ايها الجلاد فانها بانتظارك .

فارتعش الراهب لما سمعه ، وغادر رنيه الغرفة يسير كالجائين .. لا

يدري ما يفعل ، ولا ما يعمل .

واقترب القادم من الملكة .

فقالت له :

- يسرني ان اراك تحافظ على مواعيدك ، فاهلا بك ايها المركيز .

« لقد وفيت بوعدك ، فأثرت باريس على الهيكوتوت ، وانا وفيت لك

بوعدك ، فجتك باليس لتأخذها هدية مني لك .

« واما خصك في جها ، فقد اذت لك بقتله ، وهذا هو السلاح » .
ودفعت له بورقة مطوية ، فاخذها بيد ترتجف ، وهو يقول :
— انها رسالة اليس .. يا الهي ما هذا الانتقام الفظيع .. ان ماريلياك
يعيدها ، فاذا قرأ رسالتها هذه التي تعترف فيها بان لها ولدا ارادت قتله ،
فانه سيموت من الغم والهول .. شكرا يا سيدتي ، لقد اعطيني اقوى
سلاح لقتله به .
فقلت الملكة :

— لقد اتفقنا .. وستقدم هذه الرسالة لماريلياك ، وتدعوه لقراءتها ؟
— بالتأكيد .
— ثم تذهب الى اليس وتعزبها عن فقد ماريلياك ، لانها ستكون في
حاجة الى العزاء ، وقد سبرت نفسها فهي لا تكركهك .
« وستجد على الباب مركبة تنتظرك .. الم تشاهدها ايها المركيز » ؟

— نعم لقد شاهدها .. وماريلياك ، هل سيحضر معنا ؟
— سيحضر حتما .

— ولماذا حضوره في الوقت الذي تحضر فيه هي ؟
— الذي يملك معرفته انه سيحضر الى هذا المكان .. واذا رأيت انه
سيظل مخلصا لاليس بعد قراءة رسالتها هذه ، واذا رضي ان يتزوجها
وهي ملوثة بعار الخيانة ، فما الذي سوف تفعله ؟

فلم يجب الرجل ، وازاح وشاحه ، فظهرت من تحته ملابس الفرسان
البديعة التي كان يلبسها يوم كان مركيزا ، وظهر في حزامه خنجر كبير
اشار اليه .

وهو يقول :

— سيكون هذا الحكم بيننا .

وسمعت الملكة في هذه اللحظة ، صوت مركبة تقف امام الباب ..

وغادرت (اليس) المركبة ودخلت الى الكنيسة ، فتولتها الرهبة ، لانها
كانت منارة باربعة مصابيح ، تبعث نورا باهتا خفيفا .
واحتت يدها تسك بساعدها وصوت يقول :

— هل اتيت يا ابنتي ؟

وعرفت اليس صوت الملكة .

— نعم هذا انا .

« ولكن اين الكاهن يا سيدتي ؟ واين ماريلياك » .

— انه لا يلبث ان يأتي .

وسمعت طرقا على الباب الخارجي في هذه اللحظة ، وحاولت اليس

الذهاب لفتح الباب ، ولكن الملكة منعتها ، وهي تقول :

— بل انا افتحه ا

وعجبت (اليس) لسعل الملكة هذا ، فليس من شأن الملكات فتح

الابواب .

واقبل ماريلياك .

فسأته الملكة :

— ألم تصحب معك احدا من اصدقائك ؟

فعرف ماريلياك الملكة من صوتها ، فحنى رأسه باحترام ، وقال :

— لقد كنت اريد ان احضر صديقا محبا لي ، ولكن الشفاليه لسن

يطلق سراحه قبل صباح الغد .

فقالت :

— نعم . . لقد نسيت ذلك .

ثم جمعت بين الخطيين ، وتقدمت بهما الى المذبح ، فركما عند درجاته .

وقالت اليس :

— اني لا ارى الكاهن فأين هو ؟

وكانت الملكة قد توجهت الى زاوية من زوايا الهيكل ، فوضعت يدها
على الرجل الواقف فيها .
وقالت له :

- هذا هو الرجل الذي يريد الزواج من اليس .
- واضطرب الرجل ، وكشف عن وجهه ، وتقدم نحو الخطيبين .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

الاعتداء على كولويني

سرتت (لورا) ما تملكه اليس من المال والمجوهرات ، وحملت المال في صندوق صغيرة ، وغادرت البيت لا تلوي على شيء ، بعد ان اطأنت الى ان « اليس » لن تعود اليه ، والى ان ماريلياك سوف يموت .
وفيا هي في طريقها ليلا في شوارع باريس ، هاجمها رجل كان يتأثر خطواتها ، وقتلها واخذ ما معها من الاموال ، وكان رنيه القلبي ، قد كلفه بقتلها بأمر الملكة كاترين ، حتى لا تتحدث بالاسرار التي تعرفها الى احد من الناس .

وقال القاتل بعد ان عثر على المال :

— ما اعجب هذه الحياة ، لقد كنت لا املك فرنكا هذا الصباح ، فما امسى المساء حتى بت من الاغنياء بل ما اسعدني بقتل هذه المعجوز .
« لقد قتلت كولويني قبلها ، فكنت اجازي عن كل واحد منهم بدينارين ، وانا هذه المعجوز ، فقد حصلت من قتلها على ثروة عظيمة » .
ومضى يحدث نفسه وهو يفرك يديه :

— والواقع اني اعرف الرجل الذي يستأجرني دائما لقتل الناس ، انه

العلكي رينه الذي يعمل في اللوفر .
ومضى القاتل الى حانة (كاتي) ، صديقة بارداليان ، حيث شرب غدة
اقداح من الخمرة ، سرورا فرحا راضيا .
وكانت خسارة كاتي قد اصبحت مركزا لامثال هؤلاء المجرمين ، وبنات
الشوارع ، ياوون اليها ، لمعاقره الخمرة ، والاستعداد لسلب او جريمة
جديدة .

وكان ان اقبلت في هذه اللحظة امرأتان على الحانة ، فلما شاهدتهما
(كاتي) سألتها اين كانتا ، ذلك انها لم ترهما منذ شهر تقريبا .
وعندئذ اخبرتها المرأتان ان حاكم سجن الباستيل يدعوها اليه كل
ليلة ، فيعاقر الخمرة معها ، حتى اذا اقبل الصبح اطلق سراحهما .
وانهما لم يذهبا اليه الليلة لانه في شاغل عن السكر والراح ، وقد
دعاها لحضور حفلة التعذيب التي ستقام في السجن صباح يوم الاحد ..
وهما يريدان من (كاتي) ان تجهز لهما ثوبين جيلين ، بحيث لا يظن احد
الى شخصيتهما ، بل يظنهما من بنات العائلات الكريمة او من قريبات
الحاكم .

سألتها (كاتي) من يكون الرجل المذب .
فاخبرتاها انها رجلان .. بارداليان الكبير وابنه .
واصفرت (كاتي) لما سمعت هذا الخبر وبذلت جهدا عظيما حتى
تمكنت من ضبط اعصابها .

فقد كانت تحب بارداليان الاكبر منذ زمن بعيد ، وقد ازداد حبها له
ولاينه ، بعد حادثة احراق الخسارة التي ذكرنا اخبارها في الكتاب الاول ،
وكيف اعطاها بارداليان كل ما يملكه من المال ، حتى تمكنت من بناء هذه
الحانة ، الجديدة التي تعيش من ورائها الآن .

سألها المرأتان فيما اذا كانتا تستطيعان الاعتناء عليهما في تحضير
التوبين الجديدين .

فأجابتهما بالإيجاب .. وصرفتها .

واخذت تفكر فيما يجب عليها عمله لانتفاذ بارداليان ، ثم قررت ان
تدخل الي السجن ، دون ان تدرك معنى ما تقوله .. اذ كيف تدخل
السجن ، دون ما دعوة ولا توصية من رجل مسئول كبير .

وفيما هي في هذه الحالة شاهدت رجلا وامرأة من زبائنها يدخلان
الخمارة ، وهما يجران المرأتين جرا ، ويصيحان انهما قتلتا عجوزا امام
باب الخمارة ، والمرأتان تصيحان وتكرران كل الانكار .

فتدخلت (كاتي) واخبرت المرأة وعشيقتها انه اذا تدخل البوليس
بالامر ، فيقبض البوليس على الجميع ، وينهبون بهم الي السجن
للتحقيق ، وان هذا لن يسر احدا من الزبائن .

وكان ان تراجت المرأة عن هذه التهمة الكاذبة .. لانها كانت تكره
المرأتين ، فلنقت لها هذه التهمة ، وطلبت (كاتي) على الامر من المرأتين
البقاء عندها ، حتى اذا انصرف الزبائن قالت لهما :

— قد تكونان بعيدتين عن الجريمة ولكن القرائن ضدكما والشهود
عليكما .

فاخذت المرأتان بالبكاء ، وسألتاها مساعدتهما ، فوعدهما بذلك
شرط الطاعة العمياء ، فسألتاها :

— ماذا يجب ان نعمل ؟

— سأقول لكما ما يجب عليكما عمله في الوقت المعين .

« واما الان فعليكما ان تناما هنا ، ولا تبرحا هذه الخمارة سن الان
الي يوم السبت .

« واذا حاولت واحدة منكما مغادرة الحانة ، ذهبت الي البوليس

فأخبرته بقصة الجريمة .. ويوم السبت سوف اعطيكما ما تريدانه من
الملابس لحضور السمرة في سجن الباستيل » .
وكان ان وافقت المرأتان على اطاعة اوامر (كاتي) وان لا يخالفاتها ابداء .



لا بد لنا قبل متابعة هذه القصة ، من العودة قليلا الى بعض ابطال
هذه الرواية ، فقد نقل هنري دي مونتسوراني كل رجاله من قصر مسيم ،
الى قصر آخر قريب من باب مونمارتر ، لسببين اولهما : جمع رجاله في
مكان واحد ، حتى اذا حاول شقيقه فرانسوا مهاجمته دافع عن نفسه ، في
القصر الذي هو امنع من قصر مسيم .
وثانيهما ان الملك لما عهد اليه بحراسة ابواب باريس ، اختار للحراسة
جساعة من رجاله المخلصين .

ولما كان يخشى ان تعرف كاترين باتفاقه مع دي كيز لخيانة الملك
والثورة عليه ، بعد ان عرف من مورفر ، انها بدأت تشك في رجال هذه
المؤامرة ، اختار ان يكون قريبا من باب مونمارتر ليهرب منه حالا ، ويفر
بجلده .. اذا وقعت الواقعة ، وحاولت الملكة القبض عليه .
ولكن قصر مسيم لم يكن خاليا خاويا من الناس .
كان هناك جيل وجيلوت ، يتناولان الخمرة ، والاول يقدم القدح بعد
القدح لابن اخته حتى يسكر ويفقد رشده .

وكان قد تذكر جيلوت في هذه الاثناء شيئا ، فقد كان هنري دي
مونتسوراني قد طلب من (جيل) وكيله في القصر .. اعطاء جيلوت ثلاث
الاف ريال ثمنا لتجسسه على بارداليان ، وانقوائه له بالذهب الى قصر
مسيم لخلوه من الحراس ، وبقاء هنري وحده فيه .
وكان ان ذهب بادراليان الاكبر كما قدمنا ، وقبض عليه رجال هنري

وكبلوه وارسلوه الى سجن الباستيل .
 ولكن (جيل) لم يدفع لابين اخته غير الف من الريالات ، واحتفظ
 بالباقي ، فطالبه جيلوت بعد ان سكر بالمبلغ المتبقي له ، واشتد الغصام
 بين الرجلين ، ورفع جيلوت خنجره في وجه خاله .
 وكان ان غضب هذا منه ، وحقد عليه وهاجمه ، وحاول قطع لسانه ،
 وحدثت على الاثر معركة قوية بين الرجلين ، حاول جيل فيها خنق
 (جيلوت) ، وحاول الثاني طعن جيل بخنجره ، وكان ان انتهت المعركة
 بسوت الرجلين .



كان (بانيكارولا) يناجي نفسه وهو يتقدم نحو المذبح ، ويقول لها :
 - هل يجب ان يمضي في السبيل الذي رسمته له كاترين ، ام عليه ان
 يتردد ويفكر ، وما هو الخير الذي سيعود عليه فيما لو قتل العاشقين ،
 وفرق بينهما . . انه طبعاً لن يحصل على الفتاة ، ولا يمكن ان تكون له
 في المستقبل بعد الضربة القاسية التي اصابتها منه .
 ثم سأل نفسه لماذا يسير على سياسة كاترين ، التي تحاول تمزيق
 الناس ، وتقسيم القلوب ، واهراق الدماء ؟
 ولما وصل الى المذبح ، وشاهدته اليس احسب بالخطر ، وسوء المصير ،
 وشاهد ماريلياك اصفرار وجهها واضطرابها ، وقبل ان يسألها عما بها ،
 هوى بانيكارولا ارضا وقد انغمس عليه ، وبات على الاثر ثيابه الداخلية ،
 فعرف ماريلياك انه ليس بكاهن ، فجذب يده من اليس ، ومشى الى
 كاترين يسألها :
 - ما هذا الذي حدث يا سيدتي ؟ ومن هذا الرجل ، انه ليس براهب ،
 فاني اراه بلباس الفرسان ، تحت وشاح الرهبان .

وكانت رسالة (اليس) لا تزال بيد بانيكارولا عند سقوطه .
ودنت اليس من خطيبتها وقالت له :
- هلم فهرب .. هيا بنا .
وعاد ماريلياك يسأل الملكة :
- من هذا الرجل ؟
قالت :

- لا ادري .. ولولا بد ان الرسالة التي بيده تنبئك عن حقيقته وامره .
ثم صاحت فجأة :
- لقد عرفته فهو المركيز بانيكارولا ، ما الذي اتى به الى هنا بدلا
من الكاهن الذي كنا بانتظاره ؟
فاسرع ماريلياك يتناول الرسالة من يد الراهب وهو يقول :
- ما الذي يريد مني ؟
دنت (اليس) منه وقالت له :
- لا تقرأ ما في الرسالة .
- هل تعرفين ما فيها ؟
- الافضل ان لا تقرأها .. ولتهرب من هذا المكان فالموت يخيم علينا .
فقال ماريلياك بصاد :
- ان هذه الرسالة تحتوي على الحقيقة التي كانت تعرفها ملكة
النافار ، والتي كتمتها عني امي !
قالت :
- لا تقرأها ايها الحبيب اذا اردت ان تبرهن لي عن حبك .
- اتعرفين هذا الرجل يا اليس ؟

كانت اليس تتكلم متوسلة ، وماريلياك يجيبها والشكوك قد غمرته ،
فلما حاولت اختطاف الرسالة منه ابدها عنه ، وتقدم الى مشعل ليقرأها

تحتة .

وعندئذ ركعت اليس وهي تقول :

– الوداع ايها الحبيب .

ثم تناولت سما وضعت في خاتم باصبعها ، وراحت تنظر الى ماريلياك هادئة صامتة .

اما ماريلياك فقد كان يقرأ في الرسالة اعتراف اليس دي ليكس بانه اذا مات ولدها الذي ولدته من المريكيز بانيكارولا فهي التي قتلتة .
وتبدلت سحنة ماريلياك بعد ان قرأ الرسالة ، وتقدم نحو الملكة ، وهو لا يرى شيئاً مما حوله ، وقال لها :

– اراضية انت يا اماء ؟ لماذا تريدن قتلي بهذه الطريقة ؟
فايقنت كاترين ان الكونت يعرف الحقيقة ، ورفعت خنجرها وهي تقول :

– لست انا الذي يريد قتلك ، بل هي ارادة السماء .

وعندئذ حدث ضجيج هائل في الكنيسة ، وهجعت خمسون فتاة بايديهن الخناجر على ماريلياك ، فطاش رأس المسكين ، ولم يعد يسمع غير صوت اليس تقول له :

– احبك .

وصاح يكرر قولها له :

– احبك .. هلم بنا نهرب .

فصاحت اليس صيحة فرح وسرور ، وقالت :

– رباه لقد غفا عني .

وزحفت نحوه ، بعد ان هوى ارضا من الجراحات التي اصابتها ، وهي تقول :

– اقتلونني انا .. فهو لا يستحق الموت .

ثم نظرت الى الملكة وقالت لها :

— هذا هو ولدك الذي تبحثين عنه ، فانظري الى دمه يجري امامك .

ثم سقطت فوق جثة حبيبها وهي تقول :

— اجك .



عادت النسوة بعد هذه المجزرة الى اللوفر ، الا واحدة منهن وقفت امام اربعة رجال كانوا يتحدثون امام الكنيسة ، فالتقت اليهم بكلمات ، فدخلوا الى الكنيسة وذهبوا بجثة ماريلياك ، فلما اصحت كاترين وحدها تقدمت من المركيز بيكارولا ، وجست قلبه فادركت انه حي ، فاخرجت قارورة صغيرة من صدرها ، وضعتها تحت اذنه ليشمها فعاد الى وعيه ، فاخذت بيده وذهبت به الى حيث كانت جثة اليس وقالت له :

— لقد قتلها بعد ان قرأ الرسالة .. دون ان استطع الدفاع عنها .

« ثم غادر الكنيسة هاربا ، فحسب حراسي انه قتلني حين رأوه ملوثا بالدماء فقتلوه ، واني اترك لك جثتها لتصرف بها » .

ولما غادرت الملكة الكنيسة ، اخذ المركيز يفحص جراحها ، وينظفها ، فوجد انها ليست قاتلة ، ثم عثر على السم فادرك انها قتلت نفسها قبل ان تصل اليها الخناجر ، فلم يقل شيئا ولفها بوشاحه العريض ، وحملها على ظهره ، وذهب بها الى تربة الابرياء ، حيث يقظ الحارس ، الذي عرفه حالا ، فامر ان يحفر حفرة تحت شجرة اثار له عليها ، فلما فعل اعبلأه كيسا من الذهب وقال له .. بعد ان انزل جثة اليس في الحفرة :

— عد بعد ساعة الى هذا المكان فتجد جثتين فهيل عليهما التراب ..

ثم تنصرف في شأنك .

فلعر الحفار وقال :

— جئتك انت ايضا يا سيدي ؟

قال :

— نعم .

فساله :

— ولماذا اعطيتني هذا المال ؟

— لان هناك احد رجالي يراقبك فاذا لم تنفذ ما امرتك به قتلك شتقا ، وهذا المال ليس لك ، وانما هو لعلام في السادسة من عمره ، سوف يزورك ويسالك عن موضع قبر ابيه ، فنتي جاءك تدله على هذه الحفرة ، وتقول له :

— هذا قبر امك وايبك .. فانصرف الان وعد بعد ساعة كما امرتك .

وعاد الحفار بعد ساعة ليجد بايكارولا ميتا ، وقد شرب السم الذي

شربت منه اليس .



لقد اخذت تتابع حوادث هذه القصة ، فقد ضاق صدر (بيبو) كلب بارداليان الابن لعياض صاحبه ، فمضى يفتش عنه فلم يعثر له على اثر ، فذهب الى حانة (كاتي) فعرفته فاطمته ولاطفته ، ثم عاد الى قصر موتمورايني ينتظر عودة سيده فلم يعد .

واقبل الليل وهو لا يزال في مكانه ، وفيما هو في شانه اشتم رائحة كلبه فاسرع اليها يطارحها الغرام ، وكانت مع رجلين اخذا يطوفان حول قصر فرانسوا دي موتمورايني ، ولم يكونا غير هنري شقيقه وصفيه الكونت دي اسيرمونت ، قدما لتحصن القصر ، لانهما كانا يريدان مهاجمته ، ولما عادا الى القصر تبهما بيبو مع الكلبة ، ودخل الى القصر معهما .. وقد نسي (بيبو) صديقه ، امام غرامه الجديد .

واما كاترين فقد عادت الى اللوفر كما قدمنا ، وكانت الحفلات لا تزال تتوالى في القصر بمناسبة زفاف شقيقة الملك ، منذ يوم الاثنين .
وفي يوم الجمعة اعلنت الملكة مورفر ، بانها تأذن له بقفل الاميرال كوليني ، وكان الدوق دي كيز قد نصحه بان يجرحه فقط .

وكان مورفر قد اتفق مع احد اسحاب المنازل التي يسر بها الاميرال في طريقه كل يوم الى قصر اللوفر ، ليصار الى اطلاق النار على الاميرال في منزله ، فوافق الرجل واعطى لجيرانه ، انه مغادر باريس الى الخارج . وفي يوم الجمعة ، ذهب مورفر الى المنزل ودخله من باب سري واخبر صاحب المنزل بان الساعة قد حانت .

فأراه صاحب المنزل جوادا في اصطبله واخبره ان الدوق دي كيز قد ارسله اليه ليركبه ويغادر باريس بعد اطلاق النار على الاميرال .

وذهب الاثنان على الاثر ، الى نافذة تطل على الشارع ، فلما مر الاميرال ومعه ستة من اتباعه ، واقترب من النافذة اطلق عليه (مورفر) النار فاصابه في كتفه الايسر ويده ، فذعر حراسه ، ولم يقترب منه الناس لاسعافه لما علموا انه من الهيكوتوت .

ولما سقط الاميرال الى الارض .. اشار الى النافذة التي اطلق منها النار ، فهجم بعض حراسه على باب المنزل ، فيما امر كوليني احد رجاله باخبار الملك .

واما مورفر فقد غادر المنزل بعد اطلاق النار ، كما غادره صاحب المنزل واسمه (فالمر) من باب في القبو ، بينما راح حراس الاميرال الجريح ينقلونه الى قصره .

وكان الهيكوتوت الذين في باريس قد تجمروا حول منزل الاميرال وهم يصيحون ويصخبون ، ويتوعدون ، ويتهددون .. والاميرال يهدى روعهم ، ويطلب منهم لزوم الهدوء والسكينة .

وبعد قليل اقبل الملك لزيارة الاميرال في قصره ، ومعه كاترين امه
والدوق دانجو شقيقه .

ولما وصل الى الباب وشاهد الجناهير اباهم ان الاميرال ضيفه ، وانه
سيقتص من المجرم اشد القصاص .

وقد غضب الملك لما علم بالاعتداء على الاميرال وصاح :
— لقد كفى ما يجري في هذه المدينة ، فني كل يوم لنا قتيلا ، وفي
كل ساعة جريح .

وهدد الباريسين بانه سيرك خصومهم يحاربونهم ، اذا ظلوا على
تعصبهم واجرامهم ، ونادى مدير البوليس ، وامهله اياما ثلاثة للقبض على
المجرم ، او يحيله الى المحاكمة كشرىك للقاتل .

واعلم انه سينق كل من يحمل سلاحا او يخفيه في ثيابه ، الا النبلاء .
فلما رد احد مستشاره بان جميع الباريسين يحملون السلاح ،
اجابه :

— اذا شئنا عشرين منهم لا يعود احد يحمل السلاح .
وحزن الملك لما اصاب الاميرال ، وغضب لان جرحه سيؤجل ذهاب
الحملة الى حدود هولندا .

وكان جميع الهيكونوت سيذهبون مع الحملة فلا يبقى احد منهم .
وفكر فيما قاله له امه من ان الاميرال سيخونه ويخذله ، ثم قال :
— ولو سلمنا جدلا بانها مصيبة في زعمها ، اليس من الحكمة ارساله
على رأس حملة ليكون بعيدا عن القصر والعاصة .

ثم لا يبقى بعده في باريس غير هنري دي فاغار ، وهذا تراقبه شقيقتي،
وهي مخلصه لي .

وعندئذ لا يبقى من اعلمائي غير الدوق دي كيز ، وهو لا شأن له
وحده .. واخيرا يبقى اخي الدوق دانجو حبيب امي .

ولما وصل الملك الى قصر كوليني سر الاميرال الشيخ برؤيته ، وهتف الطيب يقول :

— ان جراح الاميرال ليست بذات بال ، وسيشفى بعد اسبوعين •
وبعد ان اقام الملك ساعة عند الاميرال ، طلب من رئيس حرسه
حراسة القصر ضد اي معتد عليه •• واعلن انه سيذهب الى اللوفر
بحراسة اشرف الهيكونوت •

وفي المساء اقام الملك حفلة عظيمة في اللوفر سرورا بسلامة الاميرال •
وكان الملك بالتأكيد فرحا سرورا •

وقد لعب القصار تلك الليلة مع هنري دي نافر ، فربح منه هنري
مائتي دينار ، فعاد الى زوجته فرحا ، يقول لها :

— اذا طال بنا المقام هنا اصبحنا بفضل اخيك من الاغنياء •
فراحت توصيه بالحذر ، ولما سألها عن السبب قالت :

— لم ار امي بمنزل هذا القرح اليوم، ومتى كانت كذلك فان المواصف
تهب عادة •

وعند منتصف الليل اقبل اللوفر ، وساد فيت الصمت العميق •

تدخل الملك

أوى ملك فرنسا الى غرفته الخاصة ، في قصر اللوفر بعد الحوادث التي وصفناها .
كان تعباً مرهقاً ، ناقماً يائساً ، يفكر في هذه الاغتيالات التي كثر
في باريس .

وفي هذا الخلاف الناشب بين فتنين ، من فئات الشعب الفرنسي .
ثم رقت نفسه لما تذكر حبيته ماري توشيت .
لقد كانت المرأة الوحيدة التي يأس اليها ، من بين كل الناس جميعاً .
وسمح طرقاتاً على بابه الخاص في هذه اللحظة ، ولم يكن هناك احد
يستطيع ان يطرق هذا الباب ، الا امه ، ففتحت لها الباب ، فدخلت كاترين
تقول :

— اريد ان اتحدث اليك يا بني ...
« ان هناك اجتماعاً عندي ، حضره مستشارك والدوق دي انجو
شقيقك ، والدوق دي نافري ، والمارشال دي نافان .

« وبعد ان بحثوا الموقف الحاضر ، اتفقوا على السبيل الوحيد
لاتخاذك واناذ الملكة »

وجيد الملك في مكانه لحظات .
وقال بعد قليل :

— لولا اني واثق من سلامة عقلك ، لقلت انك أصبت بالجنون ...
كيف يجراً هؤلاء السادة على بحث شؤون الدولة بدون امر مني ، ومن
الذي دعاهم الى هذا الاجتماع ؟

« هل وقعت حرب بيننا وبين اسبانيا ، ام هل أصيبت باريس
بالوباء . »

« ثم ما شأن هؤلاء في الاجتماع واتخاذ القرارات ؟ ومهما يكن الامر
فليفعلوا ما يشاءون وليتركوني انا هائلا » .
أدار ظهره لاه ، وحاول العودة الى سريره ، ولكن هذه صاحت
به تقول :

— لا تفعل او تكون هذا آخر ليلة تام فيها على سريرك .

واجفل الملك ، واحمر وجهه ذمرا وخوقا ، وراحت الملكة تقول :

« انه يحسن به ان يكون من الشاكرين لرب السماء ان اعطاه قوما
يدافعون عنه ، ويحافظون على حياته ، ولولا يقظتهم لهوجم اللوفر ،
وقتل الملك وتعبت امه . »

« وانه من الجنون ان يسلم نفسه مكتوف اليدين للهيكلوت الذين
يريدون القضاء على عرشه وقتله ... وزدت على ذلك ان كلقتهم
بحراستك ، وتركت حراستك الامناء المخلصين » .

وما زالت به تردد امامه هذه الاقوال وتخوفه من الموت، وان عليه
ان يقتل اعداءه او يقتله اعداؤه .
ولما سألها :

— من تريد ان يقتل ؟

اجابه : ان عليه ان يقتل (كوليني) فهو اكبر عدو له .

وشعر الملك بدوار لما سمع هذا الجواب .

كيف يقتل الشيخ الكبير وهو ضيفه ؟

وسألها عن البراهين التي تثبت له ان كوليني يريد قتله .

فأجابته انها ستقدمها له غدا صباحا ، لانها تمكنت من القبض على

الرجلين الذين يعرفان هذه الاسرار ، اسرار كوليني وفرانسوا دي

مونتوراني ، واحد هذين الرجلين هو الشغاليه بارداليان الذي استقبلته

في اللوفر مرة مع المارشال فرانسوا ، ثم هرب منه لما حاول حراسك

القبض عليه ... واما الرجل الآخر فهو ابوه .

ولتعلم اني قبضت على هذين الرجلين ، وسأحضر استطاقتهما غدا ،

وانا واثقة من ان كوليني لم يأت الى باريس الا لقتلك .

ولم يصدق الملك كل ما سمع من امه ، ولكن التردد بدا على وجهه،،

ثم ما لبث ان قال :

— حسنا سوف اقرأ اوراق التحقيق غدا .. واعترافات المسجونين .

ولكن امه ما برحت به حتى اخذته الى مكان الاجتماع ، حيث استمع

الى جميع الحاضرين يؤكدون ان بقاء كوليني يوما واحدا حيا ، سيدفع

شعب باريس الى الثورة ، وليس من يدري بعد ذلك ما تكون نتيجة

هذه الثورة .

وكانت الام قد اقنعت ابنها بانه اذا لم يتحرك ويأمر بالقضاء على

الهيكونوت ، فان الدوق دي كيز سوف يفعل بمساعدة شعب باريس ،

حتى اذا انتهى من تصفية هذه الفئة زحف الى اللوفر على رأس رجاله ،

وازال الملك عن عرشه بحجة انه ضعيف ، وانه يتعاون مع اعداء الشعب

والدين .

وضرب جميع الحاضرين على هذا الوتر ، وخوفوا الملك من عاقبة التردد .

ونظر اليهم الملك اخيرا نظرة القانط وصاح يقول :
— انكم تريدون جميعا قتل الاميرال فاقتلوه ... اقتلوا ضيفي ، واقتلوا معه كل الهيكوتوت في فرنسا .. حتى لا يبقى هناك من يقول ان ملك فرنسا من الخائنين .

واخذ يضحك تلك الضحكات التي تسبق نوبته .
وأبرق وجه كاترين ، عند سماعها جوابه ، وقالت :
— لقد فلنا منه ما نريد .

وسارت بالجميع الى غرفة مجاورة ، وكانت الساعة قد قاربت الثالثة بعد منتصف الليل ، ودعتهم الى مقابلتها غدا في الساعة الثامنة صباحا لبحث تفاصيل الجزيرة ، بعد ان تقرر موعدها بعد غد .

فلما انصرف الحاضرون ، دعت رنيه الفلكي اليها ، وقالت له :
— لقد حان الوقت يا رنيه ، فابلغ كريس وكرفيه وبيزو ليتأهبوا لبعث غد ... وستجري المذبحة في ليلة غد ، وستولى انت تعيين شخص ليقف في كنيسة سانت جرمين ، حيث تدق دقات الاشارة المعلومة لبدء العمل .

واما الملك المسكين فقد عاد الى غرفته يائسا قانطاً والاشباح تطارده، وهو يصيح ناديا عشيقته :

— ماري ... هلمي بنا نهرب من باريس ... هلمي بنا نهرب لاني لا أطيق منظر الدماء .

★ ★ ★

وفي هذه الاثناء كان بارداليان وابنه ينامان في غرفتهما في سجن

الباستيل ، بعد ان تقرر ان يجري تعذيبها في صباح غد ، لانتزاع ما
يرقان من اسرار دي كيز ، ومؤامرة كوليني ، كما تدعي الملكة .
وكان البطلان قد فحما الباب فوجداه قويا متينا لا يستطيعان كسره
ولا خلمه ، وقد مضت عليهما ستة ايام في هذا السجن ، دون ان يشاهدا
الحاكم الذي كان غارقا في سكره وغرامه .
ولما اصبح صباح يوم الاحد افاق بارداليان قبل ابنه ، فوقف ينظر
اليه نظرة مليئة بالحنو والحب والاسف ، لما سوف يتعرض له من
التعذيب بعد قليل .

ولما افاق الابن ونظر الى ابيه ادرك ما يجول في خاطره ، فجلسا معا
لا يتكلمان ، وهما ينتظران الساعة الحاسمة .
وعندئذ سما وقع اقدام في الرواق المؤدي الى غرفتهما .
وبعد دقائق دخل المسير موتليك حاكم السجن ومعه عشرين جنديا ،
احاطوا بهما ، واخذوها الى غرفة التعذيب ؟
كان الجلاد بانتظارهما ... والى جانبه شخص عرف فيه بارداليان
مورفر عدوه اللدود .

وكانت الغرفة منارة بالمشاعل لان الشمس لم تكن تصل اليها .
وسأل الحاكم مورفر :
— بأيهما تريد ان تبدأ .

فتقدم عندئذ الشاب وطلب ان يبدأوا به ، ولكن والده عارض
وارادهم على البدء به هو .
ووافق (مورفر) على البدء بتعذيب الاب ، لان الابن سوف يتعذب
كثيرا لرؤية والده في هذه الحالة .

وارتد (مورفر) في هذه اللحظة الى باب غرفة كانت تقف فيها امرأة
وضعت وشاحا على وجهها ، وقد لبست ثوبا اسود اللون ، فأشارت اليه

بإشارة من يدها ، فعاد الى حيث كان ، وطلب من الجلاد ان يبدأ عمله .
وامسك الحراس الاب .

وهاج بارداليان الابن هياج المجانين وهجم على الحراس .

وصاح الحاكم ينادي رجاله لجلب الحديد وتقييد بارداليان .

وعندئذ فتح الباب ، وظهرت امرأة على عتبة ، قالت بصوت عال :

— باسم الملك اوقفوا التعذيب .

وجم الجميع عند سماع اسم الملك ، وسقطت السلامل من يد

الجلاد ... وعض مورفر على شفتيه ... حتى كاترين نفسها ارتعشت

وجسدت في مكانها .

كانت المرأة فتاة رشيقة جميلة ما كادت تشاهد الاب وابنه حتى

قالت :

— لقد وصلت قبل نوات الاوان .

وصاح بارداليان الابن :

— ماري توشيت .

ودنا حاكم السجن منها يسألها :

— من انت يا سيدتي .

— اني رسولة ملك فرنسا ، وهذا كل ما يملك معرفته ؟

— وكيف دخلت الى هنا ؟

فلم تجبه ماري وقدمت له ورقة قرأ فيها ما يلي :

« نأمر حاكم سجن الباستيل ان يأذن بدخول حامل هذا الامر الى

غرفة التعذيب .

شارل — الملك

فلما انتهى من قراءتها اعطته ورقة اخرى قرأ فيها ما يلي :

» تأمر بإيقاف تعذيب بارداليان وابنه ، وعدم استنطاقهما الا بأمر

مننا . *

شارل - الملك

حس الحاكم رأسه ، والتفت الى قائد الحرس قائلاً :

- اعد السجنين الى غرفتهما . *

حاول مورفر الاعتراض ، ولكن الحاكم لم يبال به ، ولما اعترض

مورفر بأن الامر قد يكون من غير الملك اجابه :

- ان هذا الامر مختوم بختم الملك وهذا كل ما يعني . *

ومضى مورفر الى كاترين فقالت :

- لقد سمعت كل شيء واعرف المرأة التي حصلت الامرين ، ولا

سبيل الى مخالفة امر الملك ، فاصدع بالامر ولا تخف ، فقد وهبتك

الاسيرين وسيكونان لك بالتأكيد . *

وطلبت منه ان يغادر باريس اسبوعا ، لان البوليس يبحث عن مطلق

النار على كولينى . *

ولكن مورفر لم يفعل ... بل اقام في باريس متواريا برقب الحوادث . *

وعادت كاترين الى اللوفر ، وهي تسأل نفسها كيف اهتمت خلية

الملك بالاسيرين ، وما علاقتها بها . *

وقررت ان تسأله حين تخلو به . *

والواقع ان الصدفة هي التي انقذت الاسيرين ، فقد ذهب الملك لزيارة

(ماري) في منزلها ، واخذ يحدثها كما هي عادته باخبار اللوفر ، ودسائس

اللذين حولها ، والمتآمرين في البلاط . *

ثم اخبرها بان امه قد فقرت بيرهان على تأمر الدوق دي كيز عليه ،

وانها ستذهب بنفسها الى السجن لتحضر تعذيب الشقيين اللذين يعرفان

قصة هذه المؤامرة .. وهما بارداليان وابنه . *

وصاحت (ماري) حين سمعت هذين الاسمين ، وطلبت من الملك العفو عنهما ، واعلمت انهما الشخصان اللذان انتقذاها من الموت ، مع العالم اراميس ، وانها واثقة انهما من المخلصين له ، وانها الان حية هسي وولدها بفضلها ، واذا كان يعرفان شيئا مما تقول ، فانهما سيعترفان به امامك ، وانا واثقة انهما سيفعلان .

فقال الملك :

— لقد اصبت فبا الذي ينمني من ان اتولى استنطاقهما بنفسي .
وكتب الامرين ووقعهما ، وذهبت بهما ماري بنفسها الى السجن فوصلت في الوقت المناسب كما قدمنا .



تكلفت كاترين الابتسام عندما عادت الى اللوفر ، بعد ان اقلت منها بارداليان وابنه ، فقد كانت تنسي نفسها بان تحصل منهما على الاعتراف الذي يؤكد مؤامرة دي كيز على العرش .
فلما دخلت الى غرفتها من رواق سري ، سألت خادمتها عن ينتظرها .
فاعلمتها بوجود الدوق دي كيز ، والدوق دانجو ، والدوق اومال ، والمستشار ، وكوندي ، والمارشال تافان وهنري دي مونتوراني ، وغيرهم ، فطلبت من الخادمة ان تدخل الدوق دي كيز عليها .
واقبل الدوق بعد قليل تياها فخورا ، فحنى رأسه ف اشارت اليه بالجلوس فجلس بجانبها ، وهو ينظر اليها نظرات الند للند .
وادركت كاترين انه ينتظر ان ينادي به البارسيون بعد ايام ، ملكا على فرنسا ، وانه واثق من ذلك ، فكان هذا سببا لتيهه وفخره .

واستامت الملكة لموقفه ولكنها كظمت حنقها ، واطلته ان الملك قد
عزم على اتقاذ الملكة من اعدائها الهيكونوت فاجابها :
- لقد علمت بذلك ، وانا مسرور من صدور هذا القرار وان كان قد
تاخر قليلا .

- ان اختيار الزمن والوقت من حق الملك ايها الدوق .. هل يستطيع
الملك الاعتداد عليك ؟

فاجابها بالايجاب ، ولما سالت عن المهمة التي يريد القيام بها ، اجابها
القبض على كوليني .. وقتله ، فقالت :
- لك ذلك .. بشرط ان تسمع دقات اجراس سانت جرمين .. وهي
الاشارة المتفق عليها .

- اهذا كل ما تريد يا سيدتي ؟
- بل هناك شيء آخر ، اريد ان تعرفه ما دمت من انصار العرش ،
وهو الاحتياطات التي اتخذت للمحافظة على اللوفر .
وارسلت خلف ناسي قائد الحرس تساله عن عدد من يوجد من الجنود
في اللوفر ، فاجابها : يوجد ثلاثة الاف ، واثني عشر مدفعا للقتال .. قد
ادخلتها سرا الى القصر .

فاصفر وجه الدوق لما علم بهذه القوة ، وعاد يبالغ باحترام الملكة .
وعادت الملكة تسال ناسي :

- لا بأس من تظمين الدوق ، فقل ما جاءنا بالبريد منذ ايام ؟

فذهل ناسي من هذا السؤال ولكنه قال معترفا :

- لقد وصلت اوامر الملك الى حكام الاقاليم فأخذوا يرسلون
الجيوش الى باريس ، وسوف يصل اليوم الى العاصمة ستة الاف فارس
وبعد ثلاثة ايام يصل عشرون الف اخرى لخدمة الملك .

سعت هذه الاخبار الدوق دي كيز ، وقال في نفسه :
- لقد فشل مشروعنا ، ولم يعد باستطاعتنا عمل شيء في الوقت
الحاضر .

والتفت الملكة الى ناسي تقول له :

- ستكون انت قائد الحرس في اللوفر ، فوزع جنودك حوله ، واطلق
النار حالا على كل من يحاول الهجوم عليه .. مهما كانت شخصياتهم .
اخذ الدوق عندئذ يعرض خدماته على الملكة ، ويؤكد ولاءه للعرش ،
وسألها ان تستقبل الشخص المكلف بقتل الاميرال ، فوافقت ، وكان رجلا
فظيح الهيئة كبير الجسم ، فشجته الملكة في مهته ، وامرته بالانصراف ،
فاخبرها انه يريد مغادرة باريس بعد هذه الحادثة ، وطلب منها امرا
بالخروج من احد ابوابها ، مع ثلاثة من اصدقائه .
فكبت الملكة الامر واعطته له .. كما اعطته كيسا من الذهب ،
فذهب لثأته .

ثم غادرت غرفتها مع الدوق حيث اجتمعت الي الذين كانوا ينتظرونها ،
واتفقت معهم على البدء في المذبحة في الوقت المين .
ولما انتهت هذه الجلسة غادر الدوق دي كيز اللوفر الى قصره ، حيث
اخذ يستقبل زعماء الاحياء ، لترتيب المذبحة ، وتعيين الفرق المختصة
لكل حي .
ولما انتهى الاجتماع خرج زعماء الاحياء لشؤونهم ، فيما مضى الدوق
يفكر في فشل مشروعه ، وانهيار خطته .



وفي الساعة التاسعة من تلك الليلة ، دخلت امرأتان الي سجن التابل ،

فذهب بهما الحارس الذي ادخلهما الى الجناح الخاص بالحاكم .
وكان الحاكم بانتظارهما .. وقد اعطى خدمه من خدمته ليتفرغ
للمرأتين .

وكان قد اسرف في الشراب قبل دخولهما فمضتا تقدمان له القدر بعد
القدر ، وتوددان اليه ، وتقبلاه ، حتى بلغت الساعة الثانية بعد منتصف
الليل ، حيث فقد الحاكم رشده من كثرة السكر فسقط ارضا لا يمي .
وعندئذ وجدت المرأتان في مكاتهما ، وبدت عليهما امارات الرعب
والفزع .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

- ٧ -

بارداليان يخرج من السجن

عاد هنري دي مونتوراني الى قصره في مونمارتر ، غاضبا ناقما ، بعد ان ابلغه الدوق دي كيز ، انه تقرر الغاء الهجوم على اللوفر ، نسي الوقت الحاضر .

ولكنه ما لبث ان عزي نفسه ، حين كلفوه بمهمة ثانية وهي مهاجمة قصر شقيقه فرانسوا ، الذي يعتبرونه صديقا للهيكونوت ، وقتله والقضاء على انصاره واعوانه .

ولما وصل الى قصره ، اخذ يتفقد حاميته ورجاله ، فوجدهم على اتم الاستعداد للمركة المقبلة .

فاذا ذهبا الى حانة (كاتي) ، نجدها قد اقلت باجا بعد ان صرفت زبائنها في الساعة التاسعة مساء .

وعند منتصف الليل فتحت الباب ثانية .. واخذ النساء يردن الى الحانة ، فهذه راقصة ، وتلك متسولة ، وهذه عرجاء ، وتلك حدباء .

وكانت (كاتي) تقوم باكرامهن ، وتوزع عليهن الخمر والنقود .. وبعد ان تحدثت اليهن مليا ، غادرن الحانة جيما .

وبعد ان ذهب ، فتحت كاتي خزائنه ، اخرجت منها كيسا يحتوي على ثلاثمائة ريال ، هي كل ما كانت تملكه .. ثم وقعت تصفي .
وفي الساعة العادية بعد منتصف الليل ، اقبلت جماعة جديدة من النساء على الحانة ، وكن من البنات الجميلات ، اللواتي يرتدين الملابس الثمينة .

جلسن يشربن ويشتمن ، حتى افرغن كل ما عند كاتي من الخمر .
ثم اخذت كاتي توزع عليهن ما معها من النقود ، حتى لم يبق معها شيء ، فغادرن الحانة في سيلهن .

فلما انصرفن ، تقلبت كاتي خنجرا وغادرت الحانة ، وقد دهشت لهدوء الليل في باريس ، وعدم سماعها لصوت من الاصوات .
وبعد قليل شاهدت شخصا يتقدم عشرين رجلا ، عليهم مظاهر النعمة ، ومعه ورقة بيده .

فجعل كلما مر ببيت مذكور اسمه على الورقة ، رسم علامة على بابه بالتباشير .

وقد فعل ذلك اكثر من مرة ، وكاتي تراقبه ، وتراقب الذين معه .
فلما تقدمت الى حي آخر ، شاهدت جماعة اخرى تعمل مثل ذلك وكانوا جميعا يسرون هادئين ساكنين ، حتى لا يوقظوا احدا من النائمين .
وفي تلك الساعة كان الدوق دي كيز في ردهة قصره الكبرى مع رجاله .

والدوق دي اومال واقفا امام قصر الاميرال كوليني ومعه مائة من المسلحين .

كما كان هنري دي مونتوراني على رأس ثلاثمائة رجل من اعوانه ينتظرون الاشارة العلوية .

وكذلك كان غيره من المكلفين بالقيام بالمجزرة الرهيبة .
ولكن ما لنا ولهؤلاء .. علينا ان نعود الى سجن الباستيل ، الذي كان
مرحبا لحادث عظيم بين الساعة الثانية والثالثة من هذا الليل .
فقد جاء رنيه القلكي الى سجن الباستيل يحمل ورقة مختومة بخاتم
الملك .

وبعد ان كتب عليها ما اراد قدمها للحاكم ، فبعت الحاكم وذعر ،
وقال له :

— لا ادري اذا كانت الآلة المذكورة تصلح للعمل بعد ان اهلنا
استعمالها هذه السنوات العديدة ، خصوصا وقد التى الملك هذه القطاعة،
ولم نعد نحاولها ابدا .

— لا يقلقك تعطيلها ، فأنا اتولى اصلاحها ، المهم ان تجتمعني بالرجل
الذي يتولى ادارتها .

وذهب به الحاكم الى غرفة الرجل المسئول ، ومضى لجلب الاسيرين .
وكان بارداليان وولده يتحدثان حين دخل عليهما ضابط ، وطلب
منهما ان يتبعاه ، فظنا ان ماري توشيت قد تدخلت للافراج عنهما ، او ان
حاكم السجن قرر نقلهما الى غرفة اجمل واشرق .
ولكن الضابط راح ينزل بهم في سلم ارضي وهو ينظر اليهما نظرة
المشفق ، حتى وصلوا الى سرداب يبلغ طوله عشرين قدما ، وفي آخره سلم
يصعد منه الى اعلى .

ومعدنا الرجلان السلم وعد بارداليان درجاته فاذا هي تسع ، وعند
الدرجة التاسعة وجدا بابا قد فتح من نفسه فدخلاه ، وكان الظلام حالكا .
فأمسك الواحد منهما بيد الآخر ، وما لبثا ان ادركا انهما يسيران على
صفائح من الحديد .

والخيرا اسطدما بجدار وجداء من الحديد ايضا ، فأخذ بارداليان
الاكبر يفحص المكان ، ويسير من هنا ويتقدم من هناك ، ثم عاد لولده
وهو يقول :

— نحن في قفص من الحديد يا بني .

فأدرك كل منهما انها سيموتان جوعا هنا .

ولكنهما لاذا بالصمت حتى لا يثير احدهما شجون الآخر .. وبعد
قليل اسك بارداليان بيد ولده وقال :

— يبدو انه قد انتهى دورنا في هذه الحياة يا بني .

فاجابه الابن :

— من يعلم .

وقرر الرجلان ان لا يموتا هذه المية ، وان يتحرر بالمهاجرين فان في
كل واحد منها قطعة من الحديد .. وامسك كل واحد منهما بهماز في يده
بعد ان خلفاه احديتهما بانتظار الساعة الحاسمة .



سما صوتا بعد لحظات ..

وكان الذي سماء صوت آلة تعد للعمل .

واضيت العرفة الحديدية في هذه اللحظة .. فأسرعا يفحصان هذا
القفص ، فلم يجدا الباب الذي دخلا منه ، فأدركا انه سري يفتح وينلق
بطريقة اوتوماتيكية .

بحثا ما حولهما فلم يجدا غير الحديد في كل مكان .. وشاهدوا الارض
محدودة من الجهات الاربع ، وفي الوسط حفرة ، لو ساروا في الظلام

لسقطوا فيها .. ولما اخذا بفحصها وجدا انها مصنوعة من الحديد، وليست عتيقة ، ولا يزيد عتقها عن خمسة اقدم .

والواقع ان رنيه الفلكي ، وهذا ما كان يجهله الرجلان ، قد ذهب به الجنون الى انه يستطيع ان يعيد ابنه مارتيك الى الحياة ، اذا عسر جسم بارداليان واخذ دمه .

فكان ان اخذه الى هذا القمص الحديدي ، الذي يهبط سقته بحركة من الخارج ، فلا يزال يهبط حتى يلامس ارض القمص الحديدي ، ويمصر الرجلين عصرا ، فينزل دمهما في الخفرة ، فيأخذ الفلكي منها ما يشاء من الدم ، ليعيد بواسطته ابنه الى الحياة .

ولما بدأ السقف يهبط ، نزل الرجلان الى الخفرة ، بعد ان لم يعودا يستطيعان الوقوف ، وأدركا انها النهاية ، وتأهبا للاحتار .



اخذ جرس سانت كاترين يدق بعد الساعة الثانية ، واخذت الاجراس الاخرى في العاصمة تدق بدورها ، وبدأت باريس تسمع صوت الرصاص، وانين الجرحى .

وصاح هنري دي مونتسوراني برجاله :

— هلموا بنا الى قصر فرانسوا .. فقد دنت الساعة .

وكذلك زحف زعماء الاحياء والحارات لعملية الذبح الفظيعة التي لوئت باريس ، والتي ذهب ضحيتها جماعات كبيرة من الهيكوتوت، باسم الدفاع عن الدين ، والدين براء من الدافعين اليها ، والقائلين ، لان العملية

كانت عبارة عن مشاهدات سياسية ، وانفراض حزبية ، اتخذ الدين ستارا لها .

وكان الملك لما توالى قرع الاجراس ، قد ادرك مغزى ذلك ، فاستبد به الذعر ، واصفر وجهه ، وخارت قواه .. وخيل له انه السبب في كل الجازر ، بسبب كلمة خرجت من فمه ..

وخرج من غرفته خائرا حزينا ، لا يدري ما يفعل ، فشاهد امام رواقه خسة من الهيكونوت موتى ، وقد ذكرنا ان الملك طلب من الهيكونوت حراته ، فكان ان قتلهم المتحصون فتقدم خطوة فشاهد فتى من الهيكونوت يدافع عن نفسه ضد خصومه ، ثم سقط ميتا قبل ان يصل الملك اليه .

ولما تقدم خطوة اخرى شاهد امرأتين من الهيكونوت مزقتهما الخناجر .

صاح مذعورا وترك الرواق وهو يصيح :

— لا اريد قتلا ولا دما .

ولكنه ما كاد ينزل في سلم الرواق ، حتى شاهد ضحايا آخرين ، ولما وصل الى ردهة متسعة ، شاهد عشرين من الهيكونوت من رجال ونساء وهم في ملابس النوم ، وخصومهم حولهم يريدون قتلهم .

فلما شاهدوا الملك حسبوه قادما لانقاذهم ، وصاحوا يقولون له :

— رحماك نحن ضيوفك .. وقد اكلنا على مائدتك ..

ولكن خصومهم عاجلهم قبل ان يصل الملك اليهم .

وبدا الملك عندئذ يضحك تلك الضحكة التي تسبق نوبته ، وفر هاربا لا يعرف اين يذهب ، حتى وصل الى قاعة السلاح فوقف مليا .

وفجأة فتح الباب وظهر من خلفه رجلان قد تمزقت ثيابهما ، وخلفهما
خسوف رجلا يطاردونهما .

وعرف الملك في الرجلين زعيما الهيكونوت هنري دي نافار زوج
اخته ، والبرنس دي كونديه .

فصاح بالمهاجمين ليغادروا القاعة ، ووقف بينهم وبين الرجلين
فتركوهما .

واخذ الجميع على الاثر يسمعون صياح الجرحى ، وانين المصابين . .
وهتاف الجماهير النائرة ، ضد الهيكونوت .

فاخذ عندئذ ملك النافار والبرنس دي كونديه يكيان لنكبة قومهم .



في الساعة التي وقعت فيها كاترين على شرفة اللوفر تنتظر دقائق
الجرس ، كانت (كاتي) صاحبة العانة ماضية في سبيلها ، فلما وصلت الى
زقاق لا منفذ له ، وقعت تنفي اغنية معروفة ، فأقبل عليها جمع عظيم من
النساء يبلغ الثلاثمائة امرأة .

وكان هذا الجيش مؤلما من النساء اللاتي جيمتهن صديقات (كاتي)
من المتشردات والمنيات والمسولات ، وبنات البني على اختلافهن .
ومن المشوهات من النساء ، ممن تقدم لنا وصفهن قبلا ، فمضت
(كاتي) جن ، وكان بعضهن يحمل سلاحا ، واما الباقيات فقد كن يتمدن
على اسنانهن واظافرنهن ، عندما تدعوا الحاجة الى الحرب والقتال .

فلما وصلن الى امام سجن الباستيل ، وقمن ينتظرن الفرصة لانقاذ
العارس الجميل بارداليان .

أخذت (كاتي) بترتيب صفوف هذا الجيش الغرب *
فوضعت في الصف الاول حلة البنادق ، ثم حلة الخناجر ، ففضبان
الحديد فالعصي ، وفي الصف الاخير من لم يكن يحملن سلاحا *

ثم قالت لهن :
- عليكن بالحذر والطاعة للمياء ، فمتى دخلت الى سجن الباستيل ،
فادخلن في اثرى *

وقد اخذن في هذه اللحظة يسمعن دق الاجراس .. وتلاه دوي
البنادق *

وفتح باب السجن في هذه اللحظة ، وظهرت على عتبة صديقتنا
الحاكم *

فصاحت كاتي بجيشها :

- هيا الى الامام *

ودخلت امامهن ، فسار الجميع في اثرها *

قالت احدى الفتاتين :

- ان المفاتيح ممي *

وقلت الثانية :

- ولقد اقلنا الابواب على الجنود *

وقالت كاتي :

- سنذهب توا الى سجن بارداليان .. فآين الطريق ؟

- من هنا *

- اذا هيا بنا *

فلما كن في الطريق اعترضهن بعض رجال الحرس ممن لم تعرف

المرأتان بوجودهم ، فحدثت معركة بين الفريقين ، تغلب فيها النساء على

الحراس الذين كانوا اقل منهم عددا ، فقتل من قتل من الطرفين ، وسجنت
كاتي البقية الباقية من الحراس الذين نجوا من الموت ، ولم يكونوا
يزيدون عن ضابط وحارسين .

وكان ان قتلت في اثناء المعركة القتاتان اللتان فتحتا الباب لكاتي ،
فاخذت منها المفاتيح ، ولما لم تكن تعرف مكان بارداليان ، فقد سألت
الضابط الذي اسرته عن مكانه ، فلما نهر في وجهها وشتها ، طعته
بخنجرها فهوى ارضا ، فسألت احد الحارسين ، فرفض فقتله .

واما الحارس الثاني ، فوافق على الذهاب بها الى حيث يوجد
بارداليان وابنه .

ولما وصلت كاتي الى مكان القمص الحديدي ، شاهدت رجلا ضخما
الجلته ، يدبر دولابا كبيرا من الحديد ، فسألت الحارس :

— من هذا ؟

— انه مأمور الآلة الميكانيكية .. وهو يدبرها الآن .

— اين هما الآن ؟

— انهما داخل القمص الذي ترينه ، والسقف يسط عليهما .

وكان ان اتقضت (كاتي) على الرجل الضخم وامسكت بعنقه ،
واسرع بعض النسوة لنجدتها ، والخناجر بايديهن ، فذعر الرجل ، وصاح :

— رحماك ، ماذا تريدن ؟

— افتح الباب او انهد خنجري في عنقك .

فقال وقد امتلأ قلبه رعبا :

— اديري هذا اللولب فيفتح الباب .

فعلت .. ففتح الباب ، وظهر من خلفه رجلان ، فصاحت تقول :

— لقد تمكنت من انقاذها قبل فوات الاوان .

واخذت تضحك وتبكي من الفرح .
وصاح بارداليان وابنه في صوت واحد :
- كاتي ..

ولما خرجا الى الرواق وشاهدا جموع النساء ادركا ان (كاتي) قد
جمت جيشا من الفاجرات لانقاذهن ، واغتصبت السجن ، وحاربت
حرامه ، حتى تمكنت من ذلك ، قبل ان يهلكا بلحقات .
وعندئذ اخذ كل واحد منهما يقبل كاتي على خديها ، وقد لاذ جميع
النساء الباقيات بالصمت ، ينظرن الى هذا المشهد المؤثر .
واخيرا قال بارداليان الاكبر :
- هلموا بنا والويل لمن يقف في طريقنا .

فاجابه ابنه :

- هو ما تقول .. لقد خرجت الاسود من مرائبها فلتحذر الذئاب .
ولما اصبحا خارج السجن ، سقطت كاتي ارضا ، من اثر الجراح التي
اسابتها ، فلما خف بارداليان لمعالجتها ، وجد انها فارقت الحياة .
فتنهده بارداليان وهو يقول :
- لقد ماتت في سبيلنا .

★ ★ ★

لما خرج بارداليان هو وابوه من السجن ، وشاهد الثائرين يحملون
المشاعل ويطاردون الهيكونوت ، قال لايه :
- هلم بنا الى قصر الاميرال كوليني ، فاني اخاف ان يقتلوا
ماريلياك .

وفيا كان الفارسان يسرعان نحو القصر ، كانا يلاقيان بين وقت وآخر جماعة من الثائرين تصدى لهما ، فيضطران لحياتا الى ردها بسيفيها ، وحياتا الى الهرب من وجهها .. حتى بلغا قصر كوليني فوجدا الناس يحيطون به من جميع اطرافه .
ولما اختلطا بالناس في ردهة القصر الواسعة ، سمعا صوتا ينادي رجلا في القصر ويقول له :

— الم تفرغ من عملك ؟

فالتفت بارداليان الى صاحب الصوت فعرف فيه الدوق دي كيز .
وشاهده يشير الى نافذة من نوافذ القصر .



كان رجال الدوق دي كيز وانصاره ، قد قضوا في الحي الذي يسكن فيه الاميرال على اكثر من مائتي ضحية من الهيكونوت قبل مجيئه .
ولما وصل هاجموا قصر الاميرال ، ودخل رجل ضخم الجثة الى غرفة الاميرال كوليني ومعه اثنا عشر حارسا ، فقتل الاميرال بحربة يحملها بيده ، وجر الجثة من السرير ليقطع رأسه ، ولما فعل ، سأله الدوق دي كيز اذا كان قد انتهى ، فاجابه بالايجاب .

فقال :

— اتى الجثة للجماهير ليشاهدها الناس .. فامتثل القاتل والتي الجثة من النافذة ، فدعا دي كيز منها ، وبعد ان فحصها قال :
— انه هو بالتأكيد .. لقد طالما حدثني قلبي بانني سأدوسك بقدمي .
وعندئذ سمع صوتا يقول له :

— تبا لك من جيان •

ذعر الناس لهذه الاهانة ، والتفتوا ، من يجراً على اهانة الدوق وهو
محاط بأعدائه ورجاله ؟

شاهدوا بارداليان ، وقد اخترق الصفوف وتقدم من الدوق وقال له :

— لقد كانوا يلقبون اباك بالمشجوع ، واما انت فستلقب بالمصفوع •

ثم رفع يده فصنعه على وجهه صنعة قوية القته ارضا •

وقعت الاهانة وقع الصاعقة على رجاله وهاجوا كالمجانين ، وجرد

الجميع سيوفهم وخناجرهم ، وصاحوا يقولون :

— اقتلوه •

وسحب بارداليان سيفه ليدافع عن نفسه •

ولكنه احس في هذه اللحظة ان يدا قوية قد حملته ورفعت الى غرفة

مظلمة من باب مفتوح •

ثم اقفل الباب ولم يعد يشاهد شيئاً •

كانت اليد يدايه ، وقد اسرع الى انقاذ ابنه لما شاهد الخطر

المحقق به •

ولكن الناس ما لبثوا ان هاجموا الباب المتقل ، يريدون تحطيمه

وتمزيق الرجل الذي اهان الدوق •

وصعد بارداليان وابنه سلماً ، وهما لا يعلمان الى اين يذهبان •

لقد كانا لا يعرفان قصر كوليني ، ولا يدريان شيئاً من اوقته

ومعابره •

وقال دي كيز لما تما لك نفسه لاحد رجاله :

— اصعد الى القصر بخمسين رجلاً ، وابحث عن الرجلين حتى تقبض

عليهما •

- ٨ -

رجالان في الشارع

كان قاتل الاميرال كوليني لا يزال في القصر ينظف رأس الاميرال بعد ان فصله عن جسده ، واخذ ثمن جريمته من الدوق دي كيز .
وفيما هو في شأته شاهد (مورفر) يدخل الى القصر باحشا مفتشا فسأله عن شأنه ، فقال له :

— اني اقتش عن رجلين من الهيكونسوت كنت اراقبهما فسي سجن الباستيل ، ثم اختفت اثارهما ، ولا بد ان يكونا قد اتيا الى هذا القصر .
فقال المجرم :

— هل احدهما كهل طويل القامة ، والآخر شاب في مقتبل العمر ؟
— نعم .

— انهما في القصر والجنود يطاردونهما .

فأسرع مورفر مندفعاً للبحث عنهما . فيما كان بارداليان وابنه لا يعلمان اين سيران ، لشدة الظلام ، ولا يجدان منفذا يهربان منه الى الخارج .

وسمعا بعد قليل صوت كسر الباب ، فأدركا ان الجنود في أثرهما .

وقال الاب :

— يبدو اننا قد وقفنا في الفخ ... ولا سبيل الى النجاة .

فقال الابن :

— لقد كنا في مكان أسوأ منه منذ ساعتين ، ثم نجونا فلا تقنط .

وأدركا بعد ان فحصا المكان انهما في غرفة لخرن الحبوب ، لها نافذة

واحدة فقط .

وأمام هذه النافذة كانت تقوم نافذة اخرى من ابنية القصر ، وبين

النافذتين مسر ضيق يؤدي الى الحديقة ، فقال بارداليان الاكبر بعد ان

فحصا :

— هذا هو سبيلنا للفرار من هذا المكان ، ولكننا بحاجة الى لوح

من الخشب .

ولما لم يجدا ما يطلبان قال الابن :

— لنسب الى النافذة الاخرى فان المسافة قصيرة بينهما .

وقفز الاثنان الى النافذة فوصلا بسلام ، وكان ان وصل الجنود الى

مخزن القمح في هذه اللحظة فلما لم يجدوا فيه احدا ، صاحوا : لا بد

انهما فرآ من هذه النافذة .

— لنذهب الى الدوق لتلقى اوامره .

وكان قاتل الاميرال لا يزال في البناية وقد غسل رأس الاميرال واخذ

يلفه بقطعة من القماش .

ولما حاول مغادرة البناء ، وجد بابه الكبير مقفلا ، فدهش وصاح كمن

يتحدث الى نفسه :

— من اقفله ؟

وفجأة ظهر امامه بارداليان وابنه .

ودنا منه الابن يسأله :

– هل انت الذي التيت جثة الاميرال من النافذة ؟

فقال :

– نعم انا الذي فعلت ذلك فما الذي تريده مني ايها الهيكونوتي ؟

– وهل انت الذي قتله ؟

– نعم .

– بماذا قتله ؟

فأشار الى حربة قد صبغها الدم ، ثم ضحك ساخرا وقال :

– وسأنتلكما بشلها ايها الكافران .

واندفع نحو الباب يريد مناداة الجند فأمسك به بارداليان الاكبر

يسنعه ، وجره الى وسط الغرفة .

– علينا اتقاذ البلاد من وحش مثلك ، فتعال الى المبارزة .

وامسك القاتل بسيفه ، اما بارداليان الاصغر فقد امسك بالحربة

القائلة ، وقد ظن المجرم انه بالغ ما يريد من هذا الشاب ، فقد كان سيفه

اطول من الحربة .

ولكن بارداليان كان امهر حملة السيف في ذلك العصر ، فما زال

بخصه يدفعه الى باب الغرفة بحريته ، رغم طول سيف خصمه ، حتى

الصفه به ، ثم طعنه بالحربة طعنة قفلت من جسده الى الباب فبسه فسمرته

به وجعلته معلقا فيه .

ثم غادر الرجلان القصر الى الحديقة ، وكان بارداليان الاكبر قد

شاهد ورقة تسقط من جيب القاتل في اثناء المبارزة فتناولها ووضعها في

جيبه .

وعاد (مورفر) بعد قليل الى القصر بعد ان بحث طويلا عن الرجلين

فلم يعثر عليهما ، فلما شاهد قاتل الاميرال مسمرا في الباب ، دعر من هذا

المشهد ، وادرك ان هذا من صنع بارداليان وابنه ، وانهما لا بد قد غادرا

المكان ، فأسرع بدوره في الخروج بعد ان حمل رأس الاميرال معه ، لعله يفيد منه .

ولما اصبح الفارسان في الشارع قال الابن لايه :

• هلم بنا الآن الى قصر فرانسوا دي مونتورانسى .

— ولكن فرانسوا لا خطر عليه ، وانما الخطر علينا ، فلماذا لا نبتعد

عن المشاكل ، ونختبئ بمضى الوقت ؟

ولكن الابن قال بمناد :

ومشى الاب بجانب ابنه ، دون ان يقول شيئا ، وان كان يعلم في قرارة

نفسه انهما سوف يلاقيان احوالا في الطريق .



وقد صدق الاب فيما توقعه ، فقد كانا يشاهدان بين كل لحظة واخرى

جماعات من المتعصبين يتكئون بخصومهم ، او يحرقونهم ، كما شاهدنا

(بيزو) احد رجال الاحياء ، يحمل شخصا بعد ان قتله ويلقيه فوق النار

المشتعلة .

قال بارداليان الاكبر لابنه :

— هيا بنا نهرب ... فلست أميق النظر الى هؤلاء الوحوش .

ولما اقتربا من قصر مونتورانسى شاهدا عددا كبيرا من الناس

حواله .

وشاهدا منزلا قريبا من القصر ، قد اقتحمه الناس ونهبوا ما فيه ،

ثم انصرفوا عنه الى منزل آخر ، فيما ظل كيرسي في المنزل بعد ان غادره

المجرمون .

وقال بارداليان الأكبر :

— هلم تغادر هذا المكان .

فقال الابن :

— اريد ان اعرف ما يطمه كيرسي في هذا المنزل فانه لا يزال فيه .
ودخل الرجلان الى المنزل ، فشاهدا جث اصحابه ملقاة هنا وهناك .
وقد لحظا وهما ينتقلان من غرفة الى اخرى ، ان الاثاث الثمين قد
بقي في مكانه ، وان ما اتقى الى الخارج كان الاثاث المادي الذي لا
قيمة له .

وفي غرفة اخرى شاهدا كيرسي واحد اعوانه ينهبان ما في الخزائن
من الحلي والجواهر .

حتى لقد تقدما الى جثة صاحب المنزل فانتزعا قلادة ذهبية كان يضعها
حول عنقه ، وقطعا اذني زوجته ، ليأخذا اقرانها .

واخيرا قال كيرسي لرفيقه :

— هيا بنا تغادر هذا المكان ، فلم يبق فيه ما ينهب .

وقبل ان يتحركا من مكانهما سقطا فوق الجث لا حراك لهما .

فقد ضرب بارداليان الابن كيرسي بقبضة يده ضربة القته ارضا ...

وقضت عليه اذ هسنت فيه ، واقتلعت عددا من اسنانه .

وقتل الاب الرجل الآخر بقبضة بندقية عشر عليها في الغرفة .

وغادر الرجلان المنزل بعد ذلك ، يحاولان اجتناب الاشتباك مع احدي

هذه العصابات المجرمة حتى بلنا عطفة ، فشاهدا امامهما عصابة كبيرة

مسلحة لا تقل عن الخمسين رجلا ، يتقدمهم كيرفر الكتبي ، وكان يحمل

حرية ، شك في رأسها رأس شخص ما كاد يراه بارداليان وابنه حتى عرفا

فيه رأس العالم اراميس الذي اتقدهما مرة في شارع مونمارتر ، واتقدها

قبلها حين كان في العربة مع ماري توشيت صديقة ملك فرنسا .

وكان ان تحول الرجلان الى زقاق ضيق تجنبنا للاشتباك مع هذه
العصابة ، وحتى يفسح لها الطريق لتسر بسلام .
ولما مر (كيرفر) من امام بارداليان الابن نظر اليه هذا نظرة هائلة ،
فذعر المجرم من هذه النظرة المرعبة ، والتفت الى رجاله يأمرهم بقتل
الرجلين .

وما كاد يصدر امره هذا ، حتى اصابه رصاصة اخترقت صدره ،
فخرّ على الارض صقاً ، وكان مطلق الرصاصة بارداليان الاكبر الذي
اتزع البندقية من احد اعوانه ، واطلق عليه الرصاص .

وهاج على الاثر انصار (كيرفر) كالذئاب ، وهجموا على الرجلين في
الزقاق الضيق ، ولكن الزقاق كان ضيقاً كما قدمنا ، فلم يكن بالامكان
والحالة هذه ان يصل الى بارداليان وابنه غير اثنين او ثلاثة منهم دفعة
واحدة ، فكان الرجلان يقضيان عليهم بسهولة ، وكان ان تقدم نحو
الزقاق احد الثرسان ، يلبس بذلة حمراء عليها شارة هنري دي
موتيموراني ، فوثب عليه الابن وجره الى داخل الزقاق ، فذعر الفارس
وحاول العودة بجواده ، فلم يوفق ، وضربه بارداليان بحسامه ضربة
القتة ارضا ، ولما حاول الاب قتل الجواد قال له بارداليان الابن :

— لا تفعل فهذا (كاليور) ، وهو الذي اهداني اياه هنري دي
موتيموراني لما انتقذته من قطاع الطرق .

وضحك الرجلان ، وأسرعوا في الفرار ، وقد ادركا ان القتلة لن
يستطيعوا ادراكهما قبل اخراج الجواد من الزقاق الضيق ، وهذا يحتاج
الى دقائق بالتأكيد .

وبعد لحظات صاح الابن :

— لقد وقعنا ... فليس لهذا الزقاق منفذ كما يبدو .

وقال الاب :

— لقد تذكرت هذا الزقاق ومررت به قبلا .
وعندئذ فتح باب في آخر الزقاق وظهرت على عتبة امرأة ، فصاح
الرجلان :

— هيكوت .

ولم تكن هيكوت هذه غير زوجة صاحب فندق دفينير الذي كانا
يقيمان فيه دائما قبل هذه الحوادث .
واسرع الرجلان بالمخول من الباب ، وكان هذا الباب يؤدي الى
رواق الفندق ، فلما شاهد (لاندري) صاحب الفندق الرجلين صاح من
اليأس قائلاً :

— انهم سيهاجمون فندقي بالتأكيد بعد لحظات .
فقات له امراته :

— هو ما تقول وطينا ان نسرع بجمع ما لدينا من المال والمجوهرات
ونهرب منه حالا .

وقال بارداليان الكبير :

— سوف اعرض عليك كل ما تخره فلا تخف .

ان صاحب الفندق أتين من ضمن في قلبه ، واسرع بارداليان فقبل
صاحبة الفندق وهو يقول لها :

— اني لن انسى فضلك ما حيت .

واسرعا بالخروج ، واسرع خلفهما صاحب الفندق وامراته ، واقبل
الثائرون بعد قليل فلما لم يجدوا فيه الرجلين ، نهبوا كل ما فيه ، وغادروه
قاعا صفيصا .

★ ★ ★

سار الرجلان نحو قصر فرانسوا دي مونتورانسى .
وكانت (هيكونت) قد وضعت على ذراع بارداليان الاكبر علامة
خاصة ، مما كان يحمله الثوار ، فلم يتعرض لهما احد هذه المرة ، فلما من
التأثرين ، انهم منهم .

وكانا يشاهدان كثيرا من العصابات في طريقهم ، بعضهم يحل جث
القتلى لطرحها في نهر السين ، والبعض الآخر يجرها في الشوارع ليلقيها
في النار .

وفجأة ضغط الاب على ساعد ابنه ، وقال له :

— انظر ... هنا هو الكونت اسبرمونت قائد حرس هنري دي
مونتورانسى ، وبدل وجوده في هذا المكان على انهم يريدون شرا
بصاحبنا فرانسوا دي مونتورانسى .

وفيما كان الرجلان ينظران الى اسبرمونت هنا وراقبان حركاته ،
اقبلت امرأة من الهيكونوت تطلب حمايته ، من الذين يطاردونها ، فضربها
اسبرمونت بسوطه ، وحرض كلبه عليها ، فأسرعت كالدب الكاسر ،
تنهش عنقها بانياها ، فانقطع صوت المرأة ولم تعد تستغيث او تطلب
الرحمة .

وقد حدث هذا بسرعة مذهلة لم يستطع معها احد الرجلين عمل شيء .
لانقاذ المرأة .

وكان ان هجم الرجلان على القاتل ، وصاح بارداليان الابن به صيحة
جعلته يستدير ليرى ما الخبر ، فلما شاهد الرجلين فرح فرحا عظيما ،
ورفع سوطه ، ولكن الابن انقض عليه كالصاعقة ، واتزع السوط منه ،
واخذ يلهب وجهه به ، حتى اخذ يصيح ويعول .

واتعد اسبرمونت قليلا عن السوط واستنجد بكلبته ، ولكن ما
حدث فجأة كان مذهلا عجبا ، فقد انقض عليه في هذه اللحظة كلب هائل

صرعه ، والقاه ارضا ، وكان هذا الكلب (بيو) كلب بارداليان ، الذي
احب كلبة اسبرموت ولم يمد يده يفارقها .
ولما حاولت الكلبة الهجوم على بارداليان طمنها الاب بخنجره فقتلها
قبل ان تصل اليه .

حدث كل هذا بسرعة مذهلة كما قدمنا ، وقبل ان يتمكن رفاق
اسبرموت من انقاذه ، ولما شاهدوه ميتا امامهم ، اخذوا ينزفون
ويتوعدون ، وهم لا يجرأون على الاقتراب من الرجلين .
ومضى الرجلان في سبيلهما ... وبيو خلفهما يرد عنهما عدوان من
يريد الاعتداء عليهما ... حتى وصلا الى زقاق دخلا فيه مسرعين .

www.mlazna.com

^RAYAHEEN^

- ٩ -

البناء بعد الشقاء

دخل الابن اولا الى هذا الزقاق ... وهو لا يعرف طريقه فيه .

وتبعه ابوه حاملا سيفه وخنجره .

وسار (بيو) الكلب في المؤخرة .

وسار خلفهما المجرمون وهم يتوعدون ويشذرون ... وكان كلما

اقترب احدهم منهما ارتفع السوط على وجده المتقدم فالتهب وجرحه

ورده الى رفاقه .

واما سيف ابيه فكان يصرع من يقترب منه فيسقط ميتا .

وفيا هما في هذا الحال سعا دويبا هائلا ، ثم تلاه سقوط منزل ،

فادركا ان هناك من وضع البارود في احد المنازل القريبة فدمره وهدمه .

وكان ان ارتفع الدخان والغبار ، فحجب الفريقين عن بعضهما ،

فأسرع الرجلان يركضان في هذا الزقاق ، حتى وصلا الى المنزل المتهدم ،

فشاهدا سلما امامهما فارتقياء ، فاذا به سلم لا منفذ له بعد ان سقط البناء

حوله ، واذا هو يتحرك ويهتز ، فتفتزا الى جدار قريب ، وفي هذه اللحظة

سقط السلم الى الارض قطعاً .

ونظر بارداليان الى ما حوله ، وما لبث ان انقبض صدره ، وارتجفت يده ، فقد شاهد فيما يلي الجدار الذي كان واقفا فوقه ، ساحة مليئة بجثث القتلى ، وحولها جموع من الرجال المسلحين ، يهجون على الباب الاكبر للبناء ، بعد ان تهدمت اطرافه ، ولم يبق غير الباب قائما ، كما شاهد امام الباب ثلاثة رجال يدافعون عن انفسهم .

عرف بارداليان حالا فيهم فرانسوا دي مونتورانسى ، اما الذي كان يهاجمه فكان شقيقه هنري .

وعندئذ ادرك بارداليان ان القصر الذي تهدم هو قصر فرانسوا ، وانه قد وصل اخيرا الى المكان المطلوب .

ولما شاهد بارداليان فرانسوا في هذا الموقف ، صاح صيحة مرعبة ، ارتجت لها الارض ، ذلك انه رأى حبيته لوزا تقف وراء ابها ، وقد اثرت شعرها حول رأسها ، وهي ترتجف من الرعب .

وكان الدوق هنري لما دقت الاجراس قد زحف الى قصر اخيه على رأس انصاره الذين كان يمدون ثلاثمائة فارس ، وخمسمائة راجل ، وسارت وراءهم ثلاث مركبات وضعت فيها براميل البارود لنسف القصر ومن فيه ، ويخلف المركبات متتا رجل من حملة البنادق .

وكان فرانسوا قد اخذ يعمل على تحصين قصره ، مخافة ان يؤخذ على حين غرة ، ولبث فيه لا يفارقه ، ينتظر ما سوف ينجلي عنه الموقف . وكان عدد حاشيته قليلا اذا قيس بعدد رجال شقيقه ، كانوا لا يزيدون عن ثمانين رجلا من الخدم ، وقد سلحهم جميعا ، ووقف يرقب ما سوف يقع .

اما (جان) فقد كانت لا تزال على جنونها الهادى اللطيف ، تناجي حبيبها ، وتقول له انها في انتظاره .

فيا كانت لويزا تصرف نهارها بالقرب من والدتها ، وهي تشتغل بالتطريز ... وتسال نفسها : اين بارداليان ... ولماذا لم يعد الى القصر . وكان فرانسوا قد اوى الى فراشه في مساء يوم المذبحة ، فلما سمع دق الاجراس في الساعة الثالثة ، افاق من نومه ، ولبس ثيابه ، وحصل سلاحه ، واسرع الى النافذة ، فسمع الضجيج والاصياح ، وشاهد النار المشتعلة ترتفع الى السماء هنا وهناك في انحاء باريس .

واسرع عندئذ الى غرفة زوجته وابنته ، فوجدهما قد افاقتا من النوم ، فشجع ابنته ، وطلب منها ان ترتدي ملابسها وان تستعد للسفر . ثم اسرع الى الردهات الخاصة بحاشيته ، فوجدهم جميعا قد افاقوا من نومهم ، وغادر اثنين منهم القصر لمعرفة ما يجري في باريس ، فعادا بعد ساعات يقولان له :

— مولاي انهم يقتلون الهيكونوت ... والقتل عام في كل مكان . رجاء بعض من كان معه من الهيكونوت ان يذهب لمساعدة المنكوبين فوافق فرانسوا على ذلك ، وامر بفتح الباب للذهاب الى اللوفر ليطلب من الملك وقف المذبحة ، فاذا رفض ، قام مع رجاله بحاربة النافرين حتى النفس الاخير .

ولكنهم ما كادوا يفتحون الباب حتى وجدوا هنري دي مونتوراني قد احاط بالقصر مع رجاله .

وهجم رجال اخيه على الباب يحاولون كسره ، فردهم رجال فرانسوا بالرصاص والبارود ، فقتلوا ثلاثين منهم .

وامر هنري بوقف الهجوم وهو يكاد يخنق غيظا ، واخذ يدرس مع رجاله طريقة جديدة لاختحام القصر ، وكان النهار قد اشرق . وانجلت هذه الخطة اخيرا عن حفر الارض تحت الباب الكبير ،

ووضع كمية من البارود ، فلما انفجر البارود وتهدم الباب اندفع رجال هنري الى القصر ، وهنا بدأت المعركة بين الفريقين ... بالخناجر والسيوف والبنادق .

وحارب فرانسوا حرب الابطال ، وبحث عن اخيه فلم يجده ، لانه وقف خلف الصفوف ينتظر نهاية المعركة .

وكان رجال فرانسوا اقل من رجال اخيه اضمافا مضاعفة ، فما لبث

هؤلاء ان تغلبوا عليهم حتى لم يبق مع فرانسوا غير عشرة رجال .

ثم اصبحوا خمسة وهو لا يزال يقاوم ويدافع على سلم قصره ، حتى

لا يدع خصومه يدخلون الى القصر ويمترضون زوجته وابنته .

واحص فرانسوا اخيرا بالخطر ، وايقن انه مائت لا محالة .

ونظر حوله فاذا ابنته (لوزا) تقبل نحوه ، تحصل خنجرا بيدها

وهي تقول :

— سوف ترى كيف تموت ابنة مونتوراني .

فقال ابرها :

— اسرعي الى امك ولا تركيها وحدها .

ثم التفت فاذا هنري شقيقه امامه ... وهو يصيح برجاله :

— اتركوا هذا الرجل فهو لي .

صاح فرانسوا عندئذ صيحة منكرة وهجم على شقيقه وضربه

بحسامه ضربة هائلة ، فخر هنري من الضربة ، وسقط سيف فرانسوا على

بلاط السلم فانكسر ، ولم يبق بيد فرانسوا غير قطعة منه .

ونظر فرانسوا الى السماء وقد ايقن انه مقتول .

وقال له اخوه شامتا :

— لقد اصبت في قبضت يدي ، وتعلم ان (جان) زوجتك

ستكون لي .

اسرع فرانسوا الى زوجته وابنته ، فضمها الى صدره وقال لاخته :
 - انك لن تحصل علينا الا جثتا هامدة ايها السافل .
 ثم انتزع الخنجر من يد ابنته ، وهو يقول :
 - الوداع ... لاتا سنوت معا ... ورفع خنجره يريد ان يقتل
 به امرأته وابنته ثم نفسه ... لما حدثت المعجزة .
 سمع ضجيجا عظيما عند السلم ... فالتفت ليرى ما الخبر ، فوجد
 اخاه قد فر من مكانه الى الشارع ، وشاهد جميع من كانوا في الردهة
 يهربون يرحم بعضها بعضا وهم خائفين مذعورين .



وذلك انه فيما كان المارشال فرانسوا يهجم بقتل زوجته وابنته ونفسه،
 اخذ الجدار الذي كان يقف عليه بارداليان الاكبر والاصغر ، يسقط على
 الذين وقفوا امام السلم يريدون اقتحام القصر ، فيصرع من يقف تحته ،
 ويجرح من يصيبه حجر من حجارتة ، حتى زاد عدد القتلى والجرحى على
 العشرين في لحظات ، وحتى اخذ الناس يفرون من الموت الذي يهددهم .
 وكان سبب اهتزاز الجدار ، ان بارداليان وابنته اخذا يدفعان حجارتة
 باقدامهما تارة ، وبأيديهما تارة اخرى ، ولما بدأ قسم من الجدار
 بالسقوط ، اضطرب توازن حجارتة فأخذت تساقط الواحدة بعد
 الاخرى ، فوقعت الكارثة .
 وكان ان خلا المكان من الجميع ، ولم يبق فيه غير جثث القتلى ، وقد
 تبادر الى اذهان الجميع ان الجدار ملغوم ... وانه سوف يقضي على
 من تحته .

وكان هذا الجدار يعلو على البناء الذي يقف فيه المارشال وابنته ،
فاذا وب المرء منه الى سقف البناية اصبح فيها .

وعندما يقن البطلان بنجاح خطتهما ، وبهرب الناس خوفا من الحجارة
والانقجار ، اخذا يستمتنان على نزع الحجارة الباقية بخناجرهما ويقلبانها
على الناس البعيدين فتساقط عليهم كالقنابل وتفتك بهم فتكا ذريعا .

ولما لم يعد في المكان احد ... نزلا الى سطح البناء الذي كان فيه
فرانسوا دي مونتوراني ، واخذ على الاثر ينهال رصاص البنادق
عليهما فلا يباليا ، وكان وجهاهما قد اسود من النبار ، وايديهما قد
احمرت من الدم ، وثيابهما تمزقت ، فكان كل من ينظر اليهما ينفر مذعورا
خائفا .

فقال الابن عند ذلك :

— ارى ان علينا ان نجيب هؤلاء الناس على تحياتهم .
وانحنى فدفع قطعة من الحائط الى الجهة التي كان يقف فيها انصار
هنري ، ثم وقف وهو يقول :

— لا بد اني قتلت وجرحت عشرين منهم .

فقال ابوه :

— لا بد لي ان افعل مثلك ايضا .

ودفع قطعة اخرى من الجدار ، فانقض على من كانوا خلفه ، فعلا
الصياح ، وارتفع صوت البنادق .

وبعد قليل انقطع الدوي ، ووضع هنري رأسه بين يديه ، واخذ
يكي من القهر بعد الفشل الذي مني به ، والضحايا التي اصابت انصاره .

وعندئذ اسرع الابن الى حيث كان المارشال فرانسوا واقفا ، فتقدم
هذا اليه وعانقه وهو يقول :

— اني لن انسى ما فعلت يا ولدي .
ونظر الشغاليه الى ما حوله ، فرأى (جان دي بيانس) تبسم ابتسامة
هادئة وهي لا تفتن الى شيء مما يدور حولها .
وشاهد حبيته لوزا مصفرة الوجه تنظر اليه باعجاب لا يوصف .
واحس بارداليان الابن بضعف عظيم ، ثم نظر الى المارشال ولوزا .
وقال :
— انك تدعوني يا مولاي بولذك الا تخشى ان اخطيء في معنى هذه
الكلمة .

فقال المارشال لابنته :

— تولى اجابته عني يا ابنتي .
تقدمت لوزا مادة يدها اليه وقد انفرقت عيناها بالدموع ، وقالت :
— انك خطيبي وهذا المنزل منزلك .
ولم يعد الشاب يمي شيئا مما حوله ، وجثا على ركبتيه ، فأخذ بيد
لوزا يقبلها وهو يبكي .
وبكى بارداليان الاب سرورا لبكاء ابنته ، واسرعت لوزا اليه فقبلته
وهي تقول :
— يا ابني ..



وسمعوا ضجة في هذه اللحظة ، فاسرع الابن وثبا الى السلم ، فاذا
هنري مقبل مع من تبقى من رجاله يريد مهاجمة القصر .

فقال وهو يضحك :

— اني الآن على استعداد لمحاربة اهل الارض والسماء .
وعرف بارداليان من المارشال ان هناك مركبة في الحديقة ، فقال لهم :
— هلموا بنا اليها .
فأجابه ابوه :

— تقدموني وسألتق بكم .

حصل فرانسوا امرأته ، وحمل بارداليان خطيبته ، فربطوا جوادين الي
المركبة فصعدت اليها لويزا وامها .. وطلب بارداليان من المارشال ان يعود
المركبة وان ينتظره عند باب الحديقة .

ولما عاد بارداليان الي القاعة يبحث عن ابيه لم يعثر عليه .
وفيما هو في شأنه هذا احس ان الارض تهتز تحت قدميه ، فقفز الي
الحديقة ، وبعد لحظة سمع دويها هائلا ، ثم شاهد البناء جميعه ينقض
ويسقط ارضا .. ثم اخذت الحجارة تساقط على الارض بعد ان ارتفعت
الي السماء .

وكان سبب ما حدث ، ان بارداليان الابن قد اخرج الورقة التي
سقطت من قاتل كوليني ، ليعرف ما فيها فاذا فيها ما يلي :

« يؤذن لحامل هذا الامر ومن يصحبه من الرفاق ، بمغادرة باريس
من اي باب ارادوا ، فانهم مسافرون لخدمة الملك » .
وكان الامر بتوقيع الملك نفسه .. ومختوما بخاتمه .

فتهدد بارداليان من الفرع ، ونظر حوله فشاهد رجال هنري يحاولون
التقدم نحو القصر بحذر ، فأسرع الي مركبة مليئة بالبارود ، فنقل ما فيها
بعد ان حصل جثة احد الاموات حتى لا يصاب بالرصاص الذي كان يطلق
عليه ، واخذ يضع براميل البارود حول الردهة ، حتى اذا دخل جميع

رجال هنري اليها ، اشعل النار في احداهما ، واسرع الى رواق يشرف على الحديقة فوقف ينتظر ما يكون .

وبعد ثوان حدث الانفجار الهائل الذي هدم البناء وما حوله ، وطير رجال هنري دي مونتوراني تحت الانقاض ، فلما شاهد هنري ما حدث كاد يفسى عليه من القهر ، وتأكد ان اكثر رجاله قد ماتوا او جرحوا .

ولكن بارداليان الاب اصيب ببعض الحجارة التي ارتفعت في الجو من هول الانفجار ، ثم سقطت على الارض ، فتكسرت بعض اضلاعه ، واقتته ارضا ، وقد وجدته ابنه على هذه الحالة ، فحمله على ظهره ، واسرع به الى الحديقة ، حيث وضعه في المركبة ، ثم امتطى جوادا ، وسارت المركبة الى اقرب باب من ابواب باريس ، وهو لا يدري كيف ينجو ... ولا كيف يخرج .

وكان من يقف في طريقه من الثائرين يلاقي عتاة عظيما وسيفا قاطما ، حتى وصل الى احد ابواب باريس ، فوجده مقفلا والجنود حوله ، فطلب مقابلة الضابط وطلب منه فتح الباب ، فرفض ، فقرر الشاب عندئذ اقتحام الباب ، ولو سفك دمه في سبيل ذلك .

وفي هذه اللحظة وثبت لوزا من المركبة ، وقدمت للضابط ورقة ما ان قرأها ، حتى امر بفتح الباب حالا ، فخرجت المركبة وبارداليان قدامها . وكان بارداليان الاكبر قد اعطى لوزا الورقة المعلومة لما وصلوا الى الباب .

وبعد قليل اقبل هنري مع بعض رجاله ، فوجد الباب مقفلا ، ورفض الضابط فتحه له ، فارتد خائبا .

وبعد دقائق وصل (مورفر) ، ففتح له الباب لانه كان يحمل ورقة بأمر الملك ايضا تخوله مغادرة باريس .

وكان مورفر قد شاهد كلب (بارداليان) في الطريق فعرف انه لا بد ان يكون خلف سيده فتبعه ، حتى وقتت المركبة للراحة في احد الاحراج ، واخرج بارداليان اياه من المركبة ليعالجه ويضمد جروحه ، فتسلل مورفر يريد ان يطعنه غدرا بخنجره ، ولكن لوزا شاهدته وامسكت بيده ، فأصابها الخنجر في صدرها ، ولسرع مورفر الى جواده فولى هاربا قبل ان يتمكن بارداليان من الوصول اليه .



لقد كان جرح لوزا خفيفا ، لان يد مورفر ارتجفت فلم تصب منها
مقتلا .

ولما اطمأن بارداليان الى سلامة خطيته ، عاد الى ابيه فوجده في حالة النزاع فاخذ يبكي ، والاب يهدئه من روعه ، ويباركه هو وخطيته ، ثم التفت الى المارشال وقال له :

— وانت يا سيدي المارشال ، هل توافق على زواج ولدنا ؟ قل يا سيدي كلمتك لا قابل الموت مرتاح البال .
فبكى المارشال وقال :

— ان ولدك ولدي ، وسيتزوج ابنتي ، واقسم لك على ذلك ..
— ولكنني سمعتك تقول انك ستزوج ابنتك من رجل يدعى الكونت دي مارجني .

فاشار المارشال الى بارداليان وهو يقول :
— هذا هو الكونت دي مارجني .. الذي كنت اعنيه ، وهذه الكوتية له ، وقد وهبتها لولدك وجعلتها مهر ابنتي .

فابتسم الاب وقال :

— هات يدك يا بني .

وبعد ان شد عليها قليلا قال :

— اني احب ان ادفن في هذا المكان وبقرب هذا النبع من الماء .. ثم

انفض عينيه ومات .

وبكى بارداليان بكاء مرا لتفقد ابيه ، ثم دعا المارشال جماعة من
الفلاحين حفروا للبطل قبرا ، وبعد ان واروه التراب توجهوا الى حصن
مونتورانسى حيث اطأوا فيه الى سلامتهم .

وكذلك انتهت هذه القصة من مغامرات بارداليان ، وتبعها قصص
اخرى مثيرة هائلة .. يلعب فيها هذا البطل الشاب ادوارا عظيمة تحير
العقول ، وتشيب الاطفال .

ومن حق القارىء علينا وقبل ان نختم قصتنا هذه ، ان نعدته عن
ابطال هذه الرواية ومصائرهم .

لقد سافر (مورفر) الى رومية ، ثم عاد منها ، ولا هم عنده الا قتل
بارداليان .

واما الدوق دي كيز ، فقد ثقل عليه فشله في الوصول الى العرش
فعاد الى ارضه وودع اللوفر وهو يقول :

— سنعود اليك في المستقبل .

اما هنري دي مونتورانسى فقد كان اشد الجميع نكدا وغضبا
وحقدا ، لقد فشل في الوصول الى اخيه وزوجة اخيه ، وقتل بارداليان
وابوه اكثر رجاله ، وكان يصاب بالجنون حين يذكر ان رجلين هزما
جيشه الكبير .. حتى مرض مرضا كاد يشرف منه على الموت ، ثم شفي منه .
واما الدوق دي انجو فقد جلس على عرش فرنسا بعد موت اخيه

الذي اشتدت عليه نوباته ففقتة ، وتسمى باسم هنري الثالث .
وكانت امه كاترين تنتظر ان يكون كالكاهن في يدها بعد ان قامت
بالمستحيل لتوطيد العرش له ، ولكنه لم يفعل ، فأهينت في عهده ،
واحتقرت كما كانت تحقر في عهد زوجها الماضي .

واما بارداليان ، فقد قرر المارشال الهائه عن حزنه ، فجدد جيشا من
انصاره ولاء قيادته ليقضي على الفتن والمجازر الدنيئة في منطقتة ، فعاد
بعد ثلاثة اشهر ظافرا منتصرا .

وكانت (جان) في هذه الاثناء ، ولوجودها بين الاشجار والحدائق ،
وقد اتعشت وخفت ذهولها ، حتى اذا حان موعد عقد الزفاف ، ودخل
المروسان الى كنيسة القصر وعقد الكاهن لهما عقد الزواج ، خرجت جان
فجأة من ذهولها ، وعاد اليها عقلها ووعيها ، وصاحت تقول :

— يا الهي ماذا ارى ، اهذا انت يا فرانسوا .. اهذا انت يا لويزا ؟

« ما هذا الاكليل المقود على رأسك يا فتاتي الصغيرة » ؟

وبكى الجميع فرحا .

وادركوا انها عادت الى وعيها ، فاسرعوا اليها يقبلونها .

وهكذا شفيت جان وعادت الى زوجها ، كما عاشت لويزا مع بارداليان

.. في هناء وسعادة وامان .

اتمى هذا الكتاب